وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التجديد في الإسلام

طبعة جديدة و منقحة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م

ح **المنتدى الإسلامي ، ١٤٢٢هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنتدى الإسلامي (الرياض)

التجديد في الإسلام - الرياض

١٢٥ ص؛ ١٤ X ٢٠

ردمك: ٨ - ٣٢ - ٧١٨ - ٩٩٦٠

١ -

أ - العنوان

ديوي

رقم الإيداع:

ردمك:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

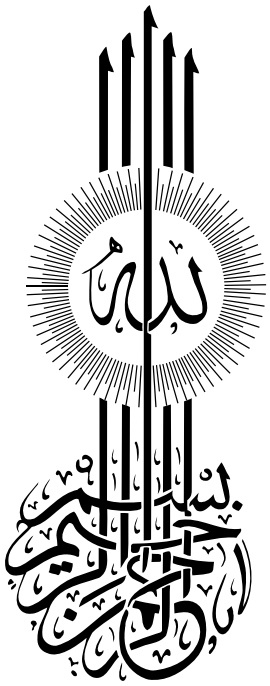

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

إن العالم الذي نعيش فيه عالم تصطرع فيه العقائد والأفكار، وتتصادم فيه المبادئ والآراء، وقد اقتضت سنَّة الله في هذا الكون أن يكون الصراع بين الخير والشر صراعاً مستمراً ما استمرت الحياة، وأن الإسلام الذي هو خير كله ـ ولذلك اختاره الله ديناً للبشرية ـ لن يُترك من قِبَل قوىٰ الشر، ولا تزال شياطين الإنس والجن تواجهه بشتىٰ الأسلحة منذ أن بُعث محمد بن عبد الله ﷺ إلىٰ يوم الناس هذا.

وإن أخطر الأخطار التي تهدد هذا الدين ما كان منها داخلياً نابعاً من صفوف متبعيه، فالذي يتتبع حركة هذا الدين في التاريخ يجد مصداق ذلك، فكل أنواع الإخفاق والانهزام التي مني بها أصحابه كانت أسبابها الرئيسية ترجع إلىٰ تراخ في التمسك بهذه العقيدة، أو عدم وضوح في التصورات والأهداف يعتري الناس، أو غفلة عن مبادئ هذا الدين في خضم تصارع القوىٰ والأفكار حوله. وكل العلامات المضيئة في مسيرته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التاريخية ترجع إلى انتباه المسلمين إلى ما يملكون من رصيد مادي ومعنوي؛ حيث يعتزون بدينهم، ويشعرون بفداحة الأخطار التي تهددهم من خلال استهداف الأعداء دينَهم؛ فيجتمعون على هدف موحد، ويسيرون إليه بخطوات واثقة يستهدون كتاب ربهم وسنَّة نبيهم ﷺ، ويستلهمون معاني القوة والاعتزاز وكراهية الظلم بشتى أشكاله من ذلك الرصيد العظيم.

وقد اقتضت حكمة الله أن يكون العلماء هم الرواد الذين يحملون النور في الظلمات الحالكة، وأن يكون علمهم هو الهادي للمسلمين حين تطبق عليهم الخطوب وتفدحهم المصائب، فيبثون بهذا العلم الثقة في النفوس المهزومة، ويبعثون الأمل في القلوب المقهورة، ويشخصون الداء، ويصفون الدواء بحكمة الطبيب النطاسي.

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي بدأ المسلمون يتنبهون لواقعهم الذي آلوا إليه: تراجع في القوى، وتشتت وتفرق، وملوك وولاة أنهكوا شعوبهم بظلمهم وعسفهم واستبدادهم، وأماتوا فيهم عوامل الوثوب والمقاومة، حتى غدوا جهلاء فقراء بجانب أمم الغرب التي بدأت تهددهم بل عَدَت عليهم وغزتهم، وأخيراً قضت على آخر كيان سياسي كان يتكلم باسم هذا الدين وهو الدولة العثمانية، وتمكنت من أن تسيطر على بلدانهم وثرواتهم، وتجعلهم وبلدانهم غذاءً لمصانعها وبطونها، وسوقاً لمنتجاتها، وقبل كل ذلك وضعت الخطط

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والبرامج من أجل تغيير عقائد هذه الشعوب، وقطع صلتها بتشريعها وقيمها وأخلاقها، وإحلال عقائد ومناهج الغرب الكافر محلها، فتقترب العقول من العقول، وتردم الهوة السحيقة التي تفصل بين قيم وقيم، وعادات وعادات، فتسلس لها قيادة هذه الشعوب، ويسهل لها تحقيق مطامعها في بسط الهيمنة ورفع الحضارة الغربية النصرانية الوثنية، وتدمير المعاني الإسلامية.

ومنذ ذلك الحين إلى الآن قامت دعوات ونهض أفراد، يرفعون رايات الإصلاح ويبينون مكامن الخطر؛ كل حسب رأيه وقدراته ومنازعه الثقافية.

وكان دعاة الإصلاح ـ وما زالوا ـ كل له رأيه في الإسلام، فكان أن جعلته طائفة أساساً لعملها، وطائفة تجاهلته، وطائفة اختارت منه أشياء ورفضت واستبعدت أشياء يدفعها إلى ذلك التحكم المحض تارة، أو الانهزام أمام الأفكار الوافدة تارة أخرى، أو الغرور مرات كثيرة.

على أن الأمر الذي آثار ـ ويثير ـ البلبلة في الأفكار، وخاصة أفكار الشباب هو أن أغلب رواد الإصلاح كانوا يرفعون راية الدين، ويدَّعون أنهم على الجادة التي ترك محمد بن عبد الله ﷺ أصحابه عليها، مع أن أغلب أولئك الرواد قد شابت مسالكهم الشوائب، وخالطت منهاجهم أمور غريبة كانت نتيجة تصور غير صافٍ للمنهج الإسلامي الأصيل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذه الدراسة التي نقدم لها تتناول هذه القضية الخطيرة، قضية التجديد والإصلاح، وتصب في صميم تحديد المنهج الذي يجب أن ينتهجه المسلمون لكي يخرجوا مما هم فيه من الضعف العقائدي، ويرتفعوا عن وهدة الذل والهوان التي صاروا إليها.

وقد طرح هذا الموضوع الحساس على بساط البحث قديماً وحديثاً، وتناولته طائفتان من الكتَّاب:

١ ـ طائفة يمكن أن نطلق عليها اسم: (هواة الكتابة)، حيث وجدوا هذا الموضوع مستطرفاً، فتناولوه إشباعاً لهواية الكتابة عندهم لا انطلاقاً من شعور مُلِحٍّ، وإحساس تفاعلي بينهم وبين الواقع.

٢ ـ وطائفة من العلماء الأعلام تعرضت له تعرضاً خفيفاً حسبما يقتضيه ما هم بصدده من بيان المراد بالجملة لا بالتفصيل، وشرح لمضمون حديث (المجدِّد) حينما يعرض في دواوين السنَّة.

وهذه الدراسة ـ التي بين أيدينا ـ لموضوع التجديد والمجددين، نأمل أن تكون مستوعبةً له، مقصورة عليه. وقد دفع إليها الإحساس بالحاجة إليه في هذا الوقت الذي توالت فيه المحن والشدائد على حَمَلَةِ هذا الدين، وقلَّ العلم وكَثُرت الدعاوى، وتعددت اللافتات المرفوعة.

وسنحرص في هذا البحث(*) على بيان الأدلة الشرعية من كتاب

(*) نشر هذا البحث على حلقات في مجلة البيان، في الأعداد من ١ ـ ٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله وسنَّة رسوله ﷺ، مع بيان مبلغ كل حديث من الصحة عند الاستشهاد، ونقل أقوال العلماء المحققين، وتقديم دراسة تاريخية لأبرز المجددين، مع ربط هذه الأمور بواقع عصرنا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول

حديث المجدد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حديث المجدد

تمهيد:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد أوجد الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ الخلق علىٰ ظهر هذه البسيطة ـ بحكمته البالغة ـ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً؟ واقتضت حكمته ـ سبحانه ـ أن يجعل فطرتهم الاستقامة والصلاة والميل عن الشرك إلىٰ التوحيد.

فأوجد البشر ـ أول ما أوجدهم ـ علىٰ الحنيفية، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ [**البقرة**: ٢١٣]. وقال: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا**﴾ [**يونس**: ١٩].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل ـ: «كلُّ مالٍ نحلتُه[١] عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين،

(١) «نحلته»: أعطيته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فاجتالتهم[١] عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأَمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل سلطاناً . . .»[٢] الحديث.

وجعلهم ـ سبحانه ـ يولدون حين يولدون على فطرة الإسلام السليمة المستقيمة، كما قال ﷺ فيما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء؛ هل تحسون فيها من جدعاء؟». ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [**الروم**: ٣٠]»[٣].

قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ: (والفطرة: الإسلام)[٤].

---

(١) «اجتالتهم»: صرفتهم عن هداهم إلى ضلالتها، وأخذتهم بأن يجولوا معها واختارتهم لأنفسها. (أساس البلاغة).

(٢) رواه مسلم في: ٥١ ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. ١٦ ـ باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم ٢٨٦٥، ورواه أحمد في المسند، ٤/ ١٦٢، ضمن حديث عياض بن حمار المجاشعي ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه البخاري في: ٢٣ ـ كتاب الجنائز، ٩٢ ـ باب ما: قيل في أولاد المشركين. رقم ١٣٨٥، الفتح، ٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
ورواه أيضاً في: ٦٥ ـ كتاب التفسير، باب: ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ [**الروم**: ٣٠]، رقم: ٤٧٧٥، ورواه أيضاً في ٨٢ ـ كتاب القدر، ٣ ـ باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم ٦٥٩٩، ورواه مسلم في: ٤٦ ـ كتاب القدر. ٦ ـ باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم ٢٦٥٨، ورواه أحمد في مواضع، ٢/ ٣١٥، ٣٤٦ ـ ٣٤٧، ٢٧٥.

(٤) صحيح البخاري في: ٦٥ ـ كتاب التفسير، باب: ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ [**الروم**: ٣٠].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويشهد لذلك أن في بعض ألفاظ الحديث: «ما من مولود يولد إلا على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه»[١].

ولأن الله ـ تعالى ـ أراد ابتلاء البشر وامتحانهم ليتحقق في واقع الحياة ما علمه عنهم بسابق علمه سبحانه؛ فقد جعلهم قابلين لسلوك كلا الطريقين: الخير أو الشر، ففي مقدورهم الاستمرار على الفطرة الأولى، وفي مقدورهم الانحراف عنها والميل إلى طريق الضلال.

وزودهم بالوسائل والمدارك التي يتمكنون باستعمالها من معرفة الحق وإدراكه ـ في الجملة ـ ويسَّر لهم من الدلائل والبينات في الآفاق وفي أنفسهم ما يقوي عنصر الخير ويمكِّنه.

وبعث لهم الأنبياء والرسل ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ مبشرين ومنذرين، بحيث لم يعد للناس على الله ـ تعالى ـ حجة.

كما ابتلاهم ـ سبحانه بحكمته ـ بالشهوات والشبهات لتكون محكاً حقيقياً يكشف عن توجه الإنسان ومقصده، والشياطين تذكِّي هذه وتلك، وتؤز الإنسان للشر والمنكر أزّاً.

وهكذا يبدأ الصراع بين الحق والباطل:

ـ داخل النفس البشرية بين قوة الخير، تؤيدها الرسالات السماوية

(١) هذا أحد ألفاظ مسلم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتشهد لها الأدلة الكونية والعقلية؛ وقوة الشر، تؤججها الشياطين المسلطة على ابن آدم.

ـ ثم في مجال الحياة البشرية ـ بشكل أوسع ـ حيث يتميز المؤمنون أتباع الرسل، عن المجرمين أتباع الشياطين . . ثم تتصارع هاتان الفئتان للسيطرة على الحياة البشرية وتوجيهها وقيادتها.

ولقد تعاهد الله ـ تعالى ـ البشرية بالمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الذين كانوا يقودون خطاهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فكان منهم من يأتي بشريعةٍ إلهيةٍ جديدةٍ، ومنهم من يأتي لتجديد ما اندرس من شريعة نبي قبله، حتى ختم الله الرسالات برسالة محمد ﷺ، وانقطع بموته ـ عليه الصلاة والسلام ـ الوحي الذي كان يتنزل من قبل على الأنبياء والمرسلين.

وإن من طبيعة الحياة الإنسانية أن تركد وتأسن، ويطرأ عليها بمرور الزمن ما يكدر صفاءها، فلا يكاد الناس يستقيمون على الإيمان والتوحيد حتى تبدأ عوامل الانحراف تتسرب إليهم شيئاً فشيئاً تسرّب الماء الآسن إلى المشرع الروي الزلال . .

ولا يلبث نقاء العقيدة أن يشوبه شيء من ذرائع الشرك ووسائله وأسبابه ثم تظهر بعد حين النتائج المخوفة من وراء تلك الذرائع والوسائل والأسباب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولقد كان ناس من الناس ينحرفون في أعظم الأمور وأخطرها ـ في قضايا الاعتقاد ـ حتىٰ في حياة رسلهم عليهم الصلاة والسلام، فكيف وقد ختمت الرسالات، وأغلقت أبواب الوحي فلا يتنزل بعد؟ وكيف بما دون تلك القضايا من أمور التشريع؟

وإذا كان المنافقون والضالون يجدون من يستمع إليهم ويصغي إلىٰ وسواسهم رغم وجود الرسول ﷺ الذي يمثل القيادة السليمة والقدوة الصالحة، ويكشف عن مُحَيا الحق حُجب الباطل فيسفر كالشمس ليس دونها سحاب؛ فكيف يكون الأمر إذا ضاعت السبل، وتفرقت الأهواء وكثرت الأصوات المضللة، وخفت صوت الحق، والتبست معالمه فلم يعد الناس يميزون بين الأصوات، ولا بين الألوان؟

إن الأمة في مثل تلك الحال تحتاج إلىٰ بروز قيادة إسلامية متميزة تجدد لها أمر دينها، وتجلي الحقائق الملتبسة، وتحيي الفرائض المعطلة، وتزيل ما علق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفهومات المنحرفة.

وبمثل هذه القيادة التي تضطلع بمهمة الخلافة للنبيين في تجديد الدين وإحيائه بشَّر الحديث النبوي الشريف.

حديث المجدِّد وأقوال العلماء فيه:

قال الإمام أبو داود ـ رحمه الله تعالىٰ ـ (في سننه): حدثنا سليمان ابن داود المُهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا سعد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة ـ فيما أعلم ـ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**».

قال أبو داود: (رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني، لم يجز به شراحيل)[١].

وهذا الحديث أخرجه أيضاً: الحاكم في مستدركه من طريق الربيع ابن سليمان بن كامل المرادي، عن ابن وهب به[٢].

ورواه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) من طريق عثمان بن صالح، عن ابن وهب[٣].

ورواه ابن عدي في (الكامل) من رواية عمرو بن سواد، وحرملة ابن يحيىٰ، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، ثلاثتهم عن عبد الرحمن ابن وهب[٤].

ومن طريقه ـ طريق ابن عدي ـ أخرجه البيهقي في (معرفة السنن والآثار)[٥].

---

(١) أبو داود: ٣١ ـ كتاب الملاحم، ١ ـ باب ما يذكر في قرن المائة، رقم ٢٩١.
(٢) المستدرك: كتاب الفقه والملاحم، ٤/ ٥٢٢، دار الفكر.
(٣) تاريخ بغداد، ٢/ ٦١، نشر دار الكتاب العربي.
(٤) المقدمة، ص ١٨١ ـ ١٨٣، تحقيق: السامرائي، ط: الأعظمي ببغداد، وكذلك ١/ ١٢٣، ط: دار الفكر.
(٥) معرفة السنن، للبيهقي، ١/ ١٣٧، تحقيق: سيد أحمد صقر، ط: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن حرملة بن يحيىٰ، وعمرو ابن سوّاد[١].

ومن طريقه أخرجه البيهقي في (مناقب الشافعي)[٢].

وعزاه السيوطي والسخاوي باللفظ السابق إلىٰ الطبراني في (معجمه الأوسط)[٣].

كما عزاه السيوطي إلىٰ أبي نعيم، والبزار، ولعله لا يقصد الحديث بلفظه السابق، بل يقصد اللفظ الآخر الآتي قريباً إن شاء الله.

كما عزاه الألباني إلىٰ أبي عمرو الداني في (الفتن)، (٤٥/ ١)، والهروي في (ذم الكلام)، (ق/ ١١١/ ٢)، وانظر اللفظ الآتي بعد قليل[٤].

ورواه ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) من طريق أبي داود ثم من طريق ابن عدي[٥].

---

(١) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه: (توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس)، ص ٢٤٠ من المخطوط في مكتبة الحرم المكي، برقم ١٠٦، مجاميع.
وتابعه علىٰ ذلك المصنفون من بعده كالسيوطي، والعظيم أبادي صاحب (عون المعبود).

(٢) مناقب الشافعي، للبيهقي، ١/ ٥٣، تحقيق: أحمد صقر، ط: دار التراث.

(٣) السيوطي في رسالته المخطوطة: (التنبئة فيمن يبعث الله علىٰ رأس كل مائة)، ص ٢أ.
والسخاوي في «المقاصد الحسنة»، ص ١٢٢، رقم ٢٣٨، ط: دار الكتب العلمية.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ١٥٠، رقم ٥٩٩، المكتب الإسلامي.

(٥) ص ٥١، ٥٢، ط: القدسي، عام ١٣٩٩ هـ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقول الراوي: (فيما أعلم) ليس شكاً في رفع الحديث، وإنما هو من قبيل التحرز في الرواية، والتشدد في الأداء، المعروف عند السلف.

وعلىٰ فرض وقف الحديث فهو في حكم المرفوع؛ لأنه مما لا يقال بالرأي المجرد بل بالتوقف؛ إذ هو إظهار لأمر مستقبل لا يعلمه إلا الله تعالىٰ.

وقول أبي داود: (ورواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني، لم يجز به شراحيل)، فهو يعني أن عبد الرحمن قد أعضل الحديث فأسقط من إسناده أبا علقمة وأبا هريرة.

وطريق سعيد بن أبي أيوب المتصلة هي الراجحة وإن كان كلاهما ثقتين؛ لأنها من باب زيادة الثقة، وزيادة الثقة مقبولة إذا لم يعارضها ما هو أثبت منها، وهذا الحاصل هنا، فيتعين قبولها والمصير إليها.

وقد صحح الأئمة هذا الحديث حتى نقل بعضهم الإجماع على تصحيحه، ومن أشهرهم:

١ ـ الحاكم حيث سكت عنه، ثم الذهبي كما في (المستدرك)، ونقل غير واحد تصحيح الحاكم له، منهم: السيوطي[١] ثم المناوي[٢].

(١) السيوطي في (التنبئة)، ص ٢أ، وفي شرحه: (مرقاة الصعود علىٰ سنن أبي داود)، ص ١٨٩ب (مخطوطتان).
(٢) فيض القدير ٢/ ٢٨٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢ ـ وقال ابن حجر ـ بعد سياق أقوال الأئمة في المجدِّد ـ: «وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهوراً في ذلك العصر، ففيه تقوية للسند المذكور، مع أنه قوي لثقة رجاله»(١).

٣ـ وقال السيوطي: «اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح...»، ثم قال: «وأما المتقدمون فكلهم لهجوا بذكر هذا الحديث»(٢).

ورمز لصحته في (الجامع الصغير)(٣).

٤ ـ وقال الزين العراقي: «سنده صحيح»(٤).

٥ ـ وقال السخاوي: «سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات»(٥).

٦ ـ وقال المناوي: «بإسناد صحيح»(٦).

٧ ـ وقال الألباني: «والسند صحيح، ورجاله ثقات، رجال مسلم»(٧).

---

(١) توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس (المخطوطة)، ص ٢٤ ب.
(٢) التنبئة، ص ٢أ، ونحوه في مرقاة الصعود، ص ١٨٩ ب.
(٣) الجامع الصغير، ١/ ٧٤.
(٤) ذكره السيوطي في مرقاة الصعود، ص ١٨٩ب، وفي التنبئة: ٢أ، والمناوي في فيض القدير ٢ / ٢٨٢، وصاحب عون المعبود، ٤/ ١٨٣، ط. هندية.. وغيرهم.
(٥) المقاصد الحسنة، ص ١٢١، ثم قال: (وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث).
(٦) فيض القدير، ٢/ ٢٨٢.
(٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ١٥٠، رقم ٥٩٩.
وقال في صحيح الجامع: حديث صحيح. ٢ / ١٤٣، رقم ١٨٧٠، ط: المكتب الإسلامي. =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وبالجملة فقد اعتمده العلماء: الزهري، وسفيان بن عيينة، وأحمد، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر، والنووي، وابن السبكي، وابن حجر العسقلاني، والحافظ الذهبي، والحافظ زين الدين العراقي، والحافظ ولي الدين العراقي، وابن الجزري، وابن كثير، وابن الأثير، والسيوطي، والسخاوي، والمناوي، ومئات غير هؤلاء، كلهم اعتمدوا الحديث، واشتغلوا في تحديد من ينطبق عليهم الحديث.

ولم نعثر خلال البحث على من ضعَّف الحديث أو تكلم فيه، فالحمد لله رب العالمين.

ألفاظ أخرى للحديث:

ورد الحديث بألفاظ أخرى مختلفة قليلاً أو كثيراً عن اللفظ المسوق من قبل.

فرواه النحاس عن سفيان بن عيينة قال: «بلغني أنه يخرج في كل مائة سنة بعد موت رسول الله ﷺ رجلٌ يقوي الله به الدين. وإن يحيى ابن آدم عندي منهم»[(١)]. وبنحوه أخرجه البزار[(٢)].

= أما قوله: (رجال مسلم) فنعم، وانظر في ذلك: تهذيب التهذيب، ٦ / ٧١؛ ٤ / ٧، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٦؛ ١٢/ ١٧٣.

(١) الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، مخطوط، ورق ٨٥/ ب، ٨٦/ أ.

(٢) عن توالي التأسيس، لابن حجر، مخطوطة، ورقة ٢٤ / أ، والتنبئة، ورقة ٢ أ-ب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وروي عنه بلفظ: «إن الله يمنُّ على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي، يبين لهم أمر دينهم»[١].

وألفاظ أخر غير هذه كثيرة تلتقي كلها عند الإمام أحمد، وهي روايات معلقة لم توجد موصولة في موضع آخر، ولم يوقف على إسناده في شيء من الكتب ولا الأجزاء الحديثية ـ كما قال السيوطي[٢]؛ ولذا لا يعوَّل على المعاني التي انفردت بها هذه الروايات، مثل: كون المجدِّد فرداً، وكونه من أهل بيت النبي ﷺ، وكونه على رأس المائة بعد موت النبي ﷺ كما هو ظاهر لفظ ابن عيينة ـ رحمه الله ـ.

بعض المعاني المستخرجة من الحديث:

إن هذا الحديث العظيم إحدى البشائر التي وعد الرسول ﷺ فيها أمته، وإنه ليمنح المسلم المصدق بما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ طاقة من الأمل الأكيد بنصر الله لعباده المؤمنين، ويمنحه ـ فوق هذا ـ دفعة قوية للعمل والبذل والتضحية رجاء أن يكتب الله له حظاً من أجر المجدِّدين.

---

(١) أبو نعيم في الحلية، ٩/ ٩٧، وأبو إسماعيل الهروي بواسطة التنبئة، ورقة ٢/ ب، ولعله هو اللفظ الذي عناه الشيخ الألباني في إحالته السابقة إلى الهروي في: (ذم الكلام).
(٢) التنبئة، ورقة ٥/ ب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذه عدد من الوقفات عند بعض المعاني التي نستلهمها من الحديث:

١ـ فأول ما يستوقف المتأمل قول الرسول ﷺ: «يبعث لهذه الأمة»، إن هذا المبعوث لم يعد همه نفسه فحسب، بل تجاوز ذلك ليعيش «لهذه الأمة».

وسواء كان المقصود أمة الدعوة ـ على ما رآه قوم ـ أم أمة الإجابة ـ على ما رآه آخرون ـ؛ فإن هذا المجدد تعدى نطاقه المحدد إلى الأفق الأوسع ليؤثر في مجريات الأمور والأحداث من حوله، وليقود خطوات الأمة المسلمة في معركة الحياة؛ ومن ثم يحدث التوازن في مسيرة الحياة البشرية كلها، ويأخذ الإسلام دوره في الوجود.

وهو بهذا مجدّد للأمة الإسلامية بإيقاظها، وإعادة ثقتها بدينها، وردِّها إلى المنهج الصحيح.

وهو مجدد للبشرية كلها، البشرية المتلهفة إلى العدالة والإيمان، المحتاجة إلى العقيدة أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب والهواء.

إن هذا المجدد ليس ممن يقنعون باليسير، ويرضون بالدون، فيكتفي أحدهم بحفظ نفسه ومن تحت يده ـ إن استطاع ـ ثم يترك أمر الناس للناس! . . بل قد تعاظمت همته واشتدت عزيمته فصار لا يطيق صبراً على الفساد والانحراف، وأقلق قلبه تسلط الظالمين والمفسدين وتوجيههم للحياة وفق ما يريدون، فآلى على نفسه أن يزاحمهم ما

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استطاع، ويشق الطريق للأخيار حتى يأخذوا دورهم في الحياة من جديد.

إن الذين تتحرك في نفوسهم الآمال والتطلعات كثيرون، ولكنهم يتناقصون ويتساقطون واحداً بعد الآخر كلما تقدمت بهم الطريق، وازدادت التحديات، وكثرت المتاعب.

ومن أجل ذلك تميز فرد أو أفراد بأنهم المجددون؛ لأنهم صابروا العقبات وغالبوها حتى غلبوها؛ لأن همتهم كانت أعظم من تلك العقبات، كانت: تجديد الدين لهذه الأمة، وإعطاء المسلمين دورهم القيادي بين الأمم، مع تحقيق معنى انتمائهم للإسلام.

لذلك فهم يمارسون دورهم العالمي من خلال دورهم الإسلامي، ويمارسون دورهم الإسلامي من خلال فئتهم الخاصة التي هي النواة الأولى للإصلاح المرتقب.

٢ـ أما «البعث» المذكور أنه يكون على رأس المائة؛ فإن البعث هو الإثارة والإرسال، فيكون المعنى: إن الله يقيض لهذه الأمة على رأس المائة مجدداً، أي: إنّ هذا المجدد يتصدى في رأس المائة (لنفع الأنام، وينتصب لنشر الأحكام)[1].

فليست ولادته ولا وفاته على رأس المائة، بل تجديده؛ ولذلك

(١) مقدمة فيض القدير، للمناوي، ١/ ١٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استغرب الإمام المناوي فهم بعض العلماء أن المبعوث يكون موته على رأس القرن، وقال: «وموته على رأس القرن أخذ لا بعث»(١).

قال ابن الأثير: «وإنما المراد بالذكر: من انقضت المائة وهو حي، عالم مشهور مشار إليه»(٢).

وقال الكرماني والطيبي مثل ذلك(٣).

وقال السيوطي في منظومته التي سمَّاها: (تحفة المهتدين بأخبار المجدِّدين)(٤):

والشرط في ذلك أن تمضي المائة وهو على حياته بين الفئة

يشار بالعلم إلى مقامه وينصر السنَّة في كلامه (٥)

وكذلك لا نعلم دليلاً في اشتراط كون وفاة المجدد في بدء القرن التالي أو بعده بقليل، كما يُلحظ في منهج كثير ممن تصدوا لتعيين المجددين؛ حيث يستبعدون بعض الأئمة محتجين بأن وفاته تأخرت

(١) مقدمة فيض القدير، للمناوي، ١ / ١٢.
(٢) جامع الأصول، ١١/ ٣٢٤، تحقيق: الأرنؤوط، ط: الملاح.
(٣) فيض القدير، ١/ ١٢، وانظر: عون المعبود، ٤/ ١٧٨، ١٨٠.
(٤) موجودة بكاملها في آخر رسالته (التنبئة)، وموجودة في فيض القدير، ٢ / ٢٨٢، وعون المعبود، ٤/ ٨١.
(٥) التنبئة، ص ١٨/ ب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلىٰ العشرين مثلاً أو الثلاثين بعد المائة مثلاً[١].

وسواء كان بعث المجدد في نهاية القرن السابق، أم في بداية القرن اللاحق فليس ثمة ما يدل علىٰ ضرورة اشتراط وفاته في تلك الفترة.

وهذا كله علىٰ اعتبار أن المجدد فرد واحد، وسيأتي الحديث عن هذه المسألة مفصلاً بعد قليل بإذن الله.

٣ـ أما المقصود بـ (الرأس) في قوله ﷺ: «علىٰ رأس كل مائة سنة»؛ فقد قال بعضهم: يعني في أولها، وقال آخرون: بل في آخرها[٢].

وأصل مادة «رأس» في اللغة يدل علىٰ التجمع والارتفاع[٣].

وتستعمل هذه المادة في الوجهين، في أول الشيء وفي آخره؛ فتقول: أعد عليَّ كلامك من رأسٍ، وأنت علىٰ رئاس أمرك، بمعنىٰ: أوله[٤].

ومثله: رأس المال، أي: أصله وأوله[٥].

---

(١) ومن هؤلاء: ابن السبكي في: طبقات الشافعية، ١/ ٢٠٢، حيث يرجح بعضهم لقرب وفاته من رأس المائة. وبدر الدين الأهدل في رسالته: (الرسالة المرضية في نصر مذهب الأشعرية) علىٰ ما نقله السيوطي في التنبئة، ص ١٣/ ب، وانظر: مستدرك الحاكم، ٤/ ٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) انظر: عون المعبود، ٤/ ١٧٨ـ١٧٩، ط: الهندية.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢ / ٤٧١، دار الكتب العلمية ـ إيران ـ قم.

(٤) الصحاح، للجوهري، ٣/ ٩٣٣، دار العلم للملايين، ومعجم مقاييس اللغة.

(٥) القاموس المحيط، ٢/ ٢٢٦، ط٢، الحلبي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتقول: القافية رأس البيت، بمعنى: آخره[١].

وجاء في الشرع الوجهان، فمن الأول: «رأس الأمر الإسلام»[٢]، بمعنى: أوله وأسّه.

ومن الثاني: «قد كانت إحداكن ترمي البعرة عند رأس الحول»[٣]، يعني: في آخره.

ومثله قوله ﷺ: «أرأيتم ليلتكم هذه؟ على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد»[٤].

وحين نعود إلى تحديد الأئمة للمجددين نجده محتملاً للوجهين، فهذا عمر بن عبد العزيز الذي أطبقت عليه الأمة تولى سنة ٩٩ هـ،

(١) لسان العرب، ٦ / ٩١، ط: دار صادر.

(٢) حديث مرفوع رواه الترمذي في: ٤١ ـ كتاب الإيمان، ٨ ـ باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم ٢٦١٦، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) حديث مرفوع رواه مسلم في: ١٨ ـ كتاب الطلاق، ٩ـ باب وجوب الإحداد، رقم ٦١، وأبو داود في: ٧ ـ الطلاق، ٤٣ ـ باب إحداد المتوفى عنها زوجها، رقم ٢٢٩٩، والترمذي في: ١١ ـ كتاب الطلاق، ١٨ ـ باب ما جاء في عدة المتوفى عنها زوجها، رقم ١١٩٧، والنسائي في الطلاق، باب عدة المتوفى عنها زوجها، ٦/ ١٨٨، وليس فيه لفظ: (رأس الحول).

(٤) حديث: «أرأيتكم ليلتكم..» رواه البخاري في صحيحه في: أ ـ ٣ـ كتاب العلم، ٤١ ـ باب السمر في العلم، حديث رقم ١١٦، ب ـ ٩ ـ مواقيت الصلاة، ٢٠ ـ باب ذكر العشاء والعتمة، حديث ٥٦٤، ج ـ ٩ ـ مواقيت الصلاة أيضاً، ٤٠ ـ باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، حديث ٦٠١، ورواه الإمام أحمد في (مسنده)، ٢/ ٨٨، ١٢١، ١٣١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٠١ هـ.

ثم من بعده الشافعي، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٠٤ هـ، ولعل القضية تقريبية لا تحتمل الحسم القاطع بحيث لو وجد من تنطبق عليه صفات المجدد ثم مات قبل تمام المائة بخمسة أيام يكون مجدداً!

ولعل مما يلتحق بهذا معرفة مبدأ المائة: من أين يكون؟ أمن مولده ﷺ؟ أم من بعثته؟ أم من هجرته؟ أم من وقت نطقه بذلك الحديث؟ أم من وفاته؟.

ولا نحب أن ندخل في جدل حول هذه الأمور ـ وإن كان الترجيح بينها ممكناً ـ ولكننا نقول:

إن بداية أي قرن تتصل بنهاية القرن الذي قبله، ومما لا يتلاءم مع طريقة الشرع اعتبار الفصل بينهما بصورة قاطعة؛ ذلك أن الشرع حتى في الأمور العبادية كالصلاة والصيام والحج وغيرها علّق ذلك على أمور ظاهرة مدركة لجمهور الناس.. فكيف بما ليس كذلك ولا يدخل فيه تعبد؟

الظاهر ـ والله أعلم ـ أن عدم تحديد المقصود بالرأس، وعدم تحديد المبتدأ.. كل ذلك أمرٌ مقصود فيه أن المجدد يظهر كلما دعت الحاجة إليه لبعد الناس عن عهد النبوة، أو لبعدهم عن عصر المجدد السابق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وهـذا ينسـجم مـع الأحـداث التاريخية كلها؛ فإنهـا تسير بقـدر الله ـ تعـالىٰ ـ علىٰ دفـــع مـــا تقتضيه الأسباب ـ غالباً ـ غير مقيدة أو محددة بفترات معينة.

ومما يبين ذلك ويجليه أن الأحداث والمصائب النازلة بالمسلمين في دينهم ودنياهم، والتي يفتقـر المسلمون خلالها إلىٰ ذلك المجدد هي غير مسلسلة ولا موقوفة بأزمنة خاصة.

وفي تلك النكبـات تتجلىٰ رحمة الله بأمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيث ينقذها بفضله من الهلكة بمن يبعثه يحمل النور في ظلمة الديجور.

كما أن هذا المجدد ينبغي أن يُتَصوَّر أن له من التأثير الممتد زماناً ومكاناً ما يجعله حياً في الأجيال التالية بعلمه وعمله، وإن كانت حياته الدنيوية المحدودة قد انتهت.

وإن من شأن هذا التصور الذي عرضناه، وهذا الرأي الذي اخترناه أن ترد الأمور إلىٰ نصابها؛ فيحسب من أحيـا للأمة ما اندرس من أمر دينها إحياءً ظاهراً ملموساً للعيان من المجددين دون أن يعكر علىٰ ذلك كون وفاته تقدمت أو تأخرت عن رأس القرن.

٤ـ أما قوله ﷺ: «من يجدِّد لها دينها» فيثور حوله سؤال ذو أهمية كبيرة: هل المقصود بذلك فرد أو رجل كما صرحت به الروايات التي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رويت عن الإمام أحمد وسفيان؟ أو إن المقصود ما هو أوسع من ذلك؟

فأما لفظ «مَنْ» فمما لا يخفى أنه يطلق على المفرد وعلى الجماعة ـ من حيث اللفظ ـ، ومن حيث المراد بها في الحديث قال بعضهم: المقصود بها فردٌ، وحملوا «مَنْ» في هذه الرواية على لفظ «رجل»، أو «عالم» في الروايات الأخرى التي سلف بيان شأنها[١].

واختار هذا الرأي عدد من العلماء، ونَسَبَه السيوطي إلى الجمهور فقال:

وكونه فرداً هو المشهور قد نطق الحديث، والجمهور[٢]

ونَسَبَه غيره إلى (العلماء)[٣]. واختار آخرون العموم، منهم: الحافظ ابن حجر، وابن الأثير، والذهبي، والمناوي، والعظيم آبادي، وغيرهم، وسيأتي بسط كلامهم.

وقبل الدخول في محاولة الترجيح نرى التقديم بحديثين فيهما بشريان أخريان لهذه الأمة:

أولهما: قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من

---

(١) انظر: توالي التأسيس، ص ٢٤/ ب، وفيض القدير، ١/ ١٠، وفتح الباري، ١٣/ ٢٩٥.

(٢) التنبئة، ص ١٨/ ب.

(٣) بذل المجهود، ١٧/ ٢٠٣.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خالفهم حتى يأتي أمر الله»(١).

وهذا الحديث عظيم مشهور، بل يصلح أن يدَّعى فيه التواتر، فقد ورد من طرق كثيرة جداً عن عدد من الصحابة، منهم: عمران بن حصين، وثوبان، وقرة بن إياس، والمغيرة بن شعبة، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية بن أبي سفيان، وعقبة بن عامر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وأبو عنبة الخولاني، وعمر بن الخطاب، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن أرقم، ومرة البهزي، وسلمة بن نفيل السكوني، وشرحبيل بن السَّمْط الكندي(٢).

قال الترمذي: «وفي الباب عن عبد الله بن حوالة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو»(٣).

---

(١) رواه البخاري في ٩٦ ـ كتاب الاعتصام، ١٠ ـ باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، رقم ٧٣١١، ٧٣١٢، ومسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، ٧ ـ باب نزول عيسى عليه السلام، حديث رقم ١٥٦، وأبو داود في كتاب الجهاد، ٤ ـ باب دوام الجهاد، رقم ٢٤٨٤، ورواه أحمد في مسنده: ٥/ ٣٤، ٢٣٩، ٢٧٨، ٢٧٩. ورواه الطبراني في مواضع منها: ٢/ ٢٤٨، رقم ١٩٢٢، ص ٢٥٠.

(٢) مر تخريج أحاديثهم في الصفحة السابقة، أما سلمة بن فضيل فأشار إلى حديثه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٤٢، ط: مؤسسة الرسالة (مع الرد على الجهمية)، ورواه في تاريخه الكبير، ٤/ ٧١، وحديث شرحبيل في: ٤/ ٢٤٨.

(٣) سنن الترمذي، ٤/ ٤٨٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فهؤلاء إحدىٰ وعشرون نفساً من أصحاب رسول الله ﷺ، رواه عنهم عدد لا يحصون كثرة من التابعين، مع أننا لم نسلك مسلك الاستقصاء.

وفيه إشارة إلىٰ ما يصيب الأمة من الانحراف والضعف والوهن والاختلاف حتىٰ لا يبقىٰ إلا هذه الطائفة القائمة بالحق المقاتلة دونه، القاهرة لعدوها، الصابرة فلا يضرّها من خذلها ولا من ناوأها إلا ما يصيبها من اللأواء، حتىٰ يكون آخرهم مع عيسىٰ بن مريم يقاتلون الدجال.

وقد قال الإمام البخاري في ترجمته علىٰ الحديث: (باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق»، وهم أهل العلم)[١].

وقال الإمام الترمذي: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: سمعت علي بن المديني يقول: هم أهل الحديث»[٢]، وروىٰ الحاكم عن الإمام أحمد أنه قال: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟»[٣].

(١) صحيح البخاري (مع الفتح)، ١٣/ ٢٩٣.
(٢) ذكره الترمذي في موضعين من سننه، الأول في ٤/ ٤٨٥، كتاب الفتن، والثاني في ٤/ ٥٠٤، الكتاب نفسه.
(٣) معرفة علوم الحديث، ص ٢، نشرة: معظم حسين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قال الحافظ في الفتح: «بسندٍ صحيح»(١).

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث: «ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهّاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرىٰ من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»(٢). ونقل ابن حجر كلام النووي ثم زاد في آخره: «ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعضٍ منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلىٰ أن لا يبقىٰ إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله»(٣).

وثانيهما: قوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(٤).

---

(١) فتح الباري، ١٣/ ٢٩٣.

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم في كتاب الإمارة، ١٣/ ٦٦.

(٣) فتح الباري، ١٣ / ٢٩٥.

(٤) الحديث ورد من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة بألفاظ مختلفة، منهم أبو هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، وأنس، وأبو معاوية، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص. =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذا الحديث وإن كان فيه بيان تفرق الأمة الواحدة إلىٰ شيع شتىٰ، إلا أن فيــه بيان حفظ الله لدينه بإقامة فرقة ناجية تلتزم بهدي رسول الله ﷺ في اعتقــادها وسلوكها، وهذه الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة، والله أعلم.

ولا نظن حديث المجدّد بمعزل عن مفهوم هذين الحديثين؛ فحين تستحكم الأهواء، وتعبث بهذه الأمة الآراء، فتفتــرقُ إلىٰ هذه الفرق الكثيرة، تكون الفرقة الناجية المنصورة هي القائمة بأمر الله في خضم هذه النزاعات والاضطرابات، الملتزمة بمنهج الرسول ﷺ في جميع أمورها. ولا شك أن كل طائفة متحزبةٍ علىٰ شيءٍ من الدين سوف تدَّعي ـ كما

= وهذه مواضع أحاديثهم علىٰ الإجمال:
أبو داود: ٢٣ ـ كتاب السنة، ١ ـ باب شرح السنة، رقم ٤٥٩٦، ٤٥٩٧، الترمذي: ٤١ ـ كتاب الإيمان، ١٨ ـ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم ٢٦٤٠، ٢٦٥١، ابن ماجه: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ١٧ ـ باب افتراق الأمم، رقم ٣٩٩١ ـ ٣٩٩٣، أحمد: ٢/ ٣٣٢؛ ٤/ ١٠٢؛ ٣/ ١٢٠، ١٤٥. الحاكم في المستدرك في كتاب العلم، ١/ ١٢٨، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، ٢ / ٤٨٠، وقال: صحيح الإسناد، وقال: هذه الأسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح الحديث، الدارمي: ١٧ ـ كتاب السير، ٧٥ ـ باب في افتراق هذه الأمة، رقم ٢٥٢١، ٢ / ١٥٨.
الطبراني في الكبير: ٨ / ٣٢٧، رقم ٨٠٥١، ص ١٧٨، رقم ٧٦٥٩، ص ٣٢١، رقم ٨٠٣٥، ج ١٠، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢، رقم ٢١١ ـ ٢١٢.
وفي الصغير، ١/ ٢٢٤، والآجري في الشريعة، ص ١٥ ـ ١٨، وابن أبي عاصم في شرح السنة، ١/ ٣٢ ـ ٣٥، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، ١/ ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، والطبري، ٢٧ / ٢٣٩، ورواه ابن أبي حاتم، والحارث بن أبي أسامة وغيرهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يدَّعي غيرها ـ أنها هي المقصودة في الأحاديث النبوية .

وكلٌّ يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تُقِرُّ لهم بوصل !

وليس من حقّ أحدٍ أن يتحكم فيدخل من شاء ضمن هذه الطائفة، وينفي من شاء وفق رغبته وهواه، بل يكون ذلك وفق ميزانٍ عدلٍ مقسط، وهو عرض حال المدَّعي على الصفات النظرية والعملية التي وصف السلف الصالح بها هذه الفئة، وهي :

١ـ موافقة اعتقاداتها لما كان عليه ﷺ وأصحابه، في أبواب العقيدة كلها :

من أسماء الله وصفاته، والإيمان، والقدر، إلى غير ذلك من أصول الاعتقاد. وأسعد الناس بذلك هم الذين يؤمنون بالنصوص إيماناً صادقاً دون أن يسلطوا عليها سهام التحريف والتأويل والإنكار والتضعيف. ومن أين يستطيع أحد أن يثبت أن الصحابة اعتقدوا بالأصول والنتائج التي اعتقدها المخالفون ممن أشربوا حب الكلام، وجعلوا العقل الفلسفي حاكماً على النصوص، ففسروا النصّ وفق ما يقتضيه ذلك العقل ـ في نظرهم ـ وإن أدى ذلك إلى أن يفهم من النص نقيض معناه؟!

وليس بنا الآن حاجةٌ إلى نقل نصوص الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المهديين لأنها أكثر من أن يتسع لها المقام، ولكن نحيل

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلى بعض مواطنها لمن يريد[١].

٢ـ اعتمادها في التفقه والاستنباط على الوحي المنزل، أو على ما أحال عليه الوحي المنزل من الأدلة كالإجماع الثابت، أو القياس الصحيح، أو المصلحة الراجحة التي لا تعارض نصاً من النصوص.

وأين من ذلك الذين نبذوا مفهومات النصوص، وتشبثوا بأقوال الأئمة وقدموها على الوحي المنزل حتى قال قائلهم: (كل نص خالف ما قاله الأصحاب فهو إما منسوخ أو مؤوَّل)! وليس يعني هذا نبذ أقوال أهل العلم المعتبرين ونشر الفوضى بين المسلمين، وفتح المجال للطلبة الصغار الذين لا يحسنون التلاوة، فضلاً عن أن يعرفوا الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد ليتولوا أمر الفُتيا فيَضِلّون ويُضلّون. كلا، فالتقليد في بعض الحالات يصبح (ضرورة)، وهكذا نريد أن يعامل على أنه جائز ضرورة، فمتى استغنى عنه الإنسان في أي مسألة تركه إلى الدليل.

---

(١) انظر أقوالهم في:
١ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للإمام اللالكائي، ١/ ١٥١ـ١٨٦؛ ٢/ ٢٢٧ـ ٢٣٠.
٢ـ العلو للعلي الغفار، للإمام الذهبي، ومختصره للألباني.
٣ـ مجموع (عقائد السلف) جمع: علي سامي النشار، عمار الطالبي.
٤ـ الشرح والإبانة، لابن بطة.
٥ـ البدع والنهي عنها، لابن وضاح القرطبي.
٦ـ كتب: (السنة)، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، وابن أبي عاصم، والمروزي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٣ـ ومن الخصائص المهمة لأهل السنَّة ـ أهل الحديث كما يعبر البخاري وابن المديني وأحمد ـ رحمهم الله ـ : الحرص على العمل بالشرع والتزام الأوامر والنواهي :

ولقد تسرب إلى أذهان كثير من الناس أن كلمة (أهل السنَّة) تعني المذهب الاعتقادي فحسب، وذلك خطأ بيّن، إن المعرفة الصحيحة بالله التي يحرص عليها أهل السنَّة ليست هي المعرفة الذهنية الباردة، بل هي المعرفة القلبية الحية التي ينتج عنها الخوف والرجاء والمراقبة والامتثال.

ولذا كان الأئمة السابقون حين يذكرون أهل السنَّة يعتبرون من خصائصهم: المحافظة على المفروضات والسنن والمستحبات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم، وحب المساكين، والإحسان إلى الجيران.

قال الإمام المحدث الشيخ أبو عثمان الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ في رسالة (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) : (.. ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات، ويوجبون قراءة الفاتحة خلف الإمام، ويأمرون بإتمام الركوع والسجود حتماً واجباً، ويعدُّون إتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما، والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه، وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدتين مطمئنين فيه؛ من أركان الصلاة التي لا تصح إلا بها، ويتواصون بقيام

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه . . . إلخ)[1]. وإلى هذا وذاك فأهل الحديث والسنَّة يحرصون على جمع الصف ووحدة الكلمة داخل هذا الإطار، فهم ليسوا حزباً محدوداً ينفي من عداه بالهوى والتحكم، ولكنهم رايةٌ عقدية أثرية من انطبقت عليه صفاتها وخصائصها فهو من هذه الفئة أقرّ له الآخرون بذلك أم لم يقرّوا.

امتناع أن يكون المجدّد من غير أهل السنَّة:

فهذه الفئة أو الطائفة الموعودة يمتنع أن يكون المجدّد من غيرها امتناعاً تاماً؛ إذ هي القائمة بأمر الله، المتبعة لشرعه، السائرة على هدي نبيه حذو القذة بالقذة، ومن ثم فهي المجدّدة لهذا الدين حين كاد يَخلَقُ بغبرة الأهواء وظلمتها، وهي الواقفة عند حدود الله حين تجارت الأهواء بأصحابها فلم يبق لهم من الدين إلا الانتساب، فكيف يكون التجديد عمل غيرها ؟!

وقد يكون لهذه الطائفة رؤوس يمتازون بالموقف الصلب الثابت،

(١) ضمن الرسائل المنيرية، ١/ ١٣١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والعلم الواسع، والعمل الدؤوب في بلدٍ واحدٍ، أو في بلدان متعـدِّدة، فرداً أو أفراداً وهؤلاء من التجديد أوفى نصيب، ولكن يصحُّ أن يقال: إن لغيرهم مـن المـجـاهـدين في هذا السبيل من التجديد بحسبهم. وهذا ما تلتقي عنده آراء عددٍ من الأئمة المحققيـن، وهو ما ينسجم مع ما قررناه في حديثي الافتراق والطائفة المنصورة ـ السابقين ـ.

وسيأتي في سياق العرض التاريخي لحركة التجديد في الإسـلام ما يكشف عن هذا، وأنه إن جاز أن يكون المجدّد في القرن الأول فرداً؛ فإن احتمال ذلـك أقـل فيما بعد لأسباب منها: **كثرة الشر والفساد، واتساع مجالات الانحراف وطرقه وأسبابـه، واتساع رقعة الأمة وانتشارها، وتناقص الخيرية في هذه الأمة حتى لم يعد يوجد الأفـراد المستجمعون لصفات المجدّد بحذافيرها، بل هي مفرقة في عددٍ من فضلاء الأمة ونجبائها.**

يقول الإمام الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ بعد سياق الخلاف في المجدّد: أفرد أم جماعة؟ ـ: (ولكنّ الذي يتعين فيمن تأخر المحملُ على أكثر من الواحد؛ لأن في الحديث إشارة إلى أن المجدّد المذكور يكون تجديده عاماً في جميع أهل ذلك العصر، وهذا ممكنٌ في حـقّ عمر بن عبد العزيز جداً، ثم في حق الشافعي. أما من جاء بعد ذلك، فلا يعدم من يشاركه في ذلك)[1].

(١) توالي التأسيس، ص ٢٤ ب، ٢٥ أ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال: (لا يلـزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحدٌ فقط ؛ بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة، وهو متجهٌ ؛ فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدَّعى ذلك في عمـر بن عبـد العزيز ؛ فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها ؛ ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عنه . وأما من جاء بعده ؛ فالشافعي ـ وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة ـ إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد، والحكـم بالعدل. فلعل هذا كل من كان متصفاً بشيءٍ من ذلك عند رأس المائة هو المراد؛ سواء تعدَّد أم لا)[1].

وإن لحظت في كلام ابن حجـر في هذا شيئاً من الاختلاف عن كلامه ذاك فهو هنا أكثر قناعة بضرورة تعدد المجدّدين في القرن الواحد؛ حيث يعبر عن تسمية عمر بن عبد العزيز مجدّداً فرداً بقوله : (. . إلاّ أن يدَّعى ذلك في عمر . .)، وأما بالنسبة للشافعي فينفي ذلك عنه لعدم استجماعه للصفات كلها، في حين أنه قال قبلُ : (وهذا ممكن في حقّ عمر بن عبد العزيز جداً، ثم في حق الشافعي)، فالأولى بالأخذ كلامه الأخير المنقول من الفتح ؛ لأن الفتح من أهم كتبه وأوثقها عنده وآثرها لديه، ولتأخر الفراغ منه إلى سنة ٨٤٢ هـ، وهذا الكلام المنقول هو في

(١) الفتح، ١٣/ ٢٩٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

آخر أبواب الكتاب، على حين فرغ من تأليف كتابه الآخر: (توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس) سنة ٨٣٥هـ[١]، ويلحظ أنه ألفَّه للثناء على الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ والإشادة به، فاختلف موقعا الكلام.

وقال الإمام الذهبي: (من ـ هنا ـ للجمع، لا للمفرد، فنقول مثلاً: على رأس الثلاثمائة: ابن سُريج في الفقه[٢]، والأشعري في الأصول، والنسائي في الحديث . . . إلخ)[٣].

وقال ابن الأثير: (لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً وإنما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه؛ فإن لفظة (مَنْ) تقع على الواحد والجمع. وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاءَ خاصة ـ كما ذهب إليه بعض العلماء ـ فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعاً عاماً في أمور الدين، فإنّ انتفاعهم بغيرهم أيضاً كثير مثل: أولي الأمر، وأصحاب الحديث، والقراء والوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد؛ فإن كل قوم ينفعون بفن لا ينفع به الآخر؛ إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء، ويُتمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر.

(١) انظر: توالي التأسيس، الصفحة الأولى، وكتاب: ابن حجر العسقلاني، للدكتور شاكر محمود، ١/ ٢٦٤، ص ٣٠٦، ٥٦١.

(٢) في الأصل: (ابن شريح) بالشين المعجمة والحاء المهملة، وكذلك ورد في مستدرك الحاكم، وفي الغيث المنسجم، ١/ ١٠٥، والصواب ما أثبتناه، انظر: وفيات الأعيان، ١/ ٦٦ ـ ٦٧.

(٣) فيض القدير، ١/ ١١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والقرّاء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا . فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر، فإذا تحمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى، وأبعد من التهمة، وأشبه بالحكمة . . . فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعةٍ من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة، يجددون للناس دينهم . .)[١] .

وقال الحافظ ابن كثير : (وقد ذكر كل طائفة من العلماء: بل الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف كما جاء في الحديث من طرق مرسلةٍ وغير مرسلة : يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين. وهذا موجود ـ ولله الحمد والمنة ـ إلى زماننا هذا . .)[٢] .

(١) جامع الأصول، ١١/ ٣٢٠ـ٣٢٤.

(٢) البداية والنهاية، ٦/ ٨٩ مكتبة الفلاح بالرياض، والحديث رواه ابن عدي في الكامل (المقدمة، ص ١٩٠، ٢٣٢ـ ٢٣٣)، والعقيلي في الضعفاء في المقدمة، ١/ ٩، وفي ترجمة معان بن رفاعة السلام، ٤/ ٢٥٦، رقم ١٨٥٤، دار الكتب العلمية، والخطيب البغدادي في الجامع، ١/ ١٢٨ـ١٢٩، ط مكتبة المعارف بالرياض. ونسبه الهيثمي في المجموع إلى البزار، ١ / ١٤٠، ونسبه الخطيب التبريزي للبيهقي، ١ / ٨٢، والإمام أحمد والعلائي. وضعفه الأكثرون، منهم العقيلي والعراقي (التقييد والإيضاح، ص ١٣٨ـ١٣٩)، والهيثمي في المجمع وغيرهم. وانظر: أيضاً التمهيد، ١/ ٥٩ـ٦٠، والبداية والنهاية، ١٠/ ٣٨١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم أشار إلى الحديث المخرج سابقاً : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهـــرين على الحق» . قال السهارنفوري نقلاً عن الشيخ محمد يحيى : (من يجدد لها دينها، أي : نوعـاً منهم وأشخاصاً، فلا يلزم أن يكون واحداً بالشخص، وإن ذهب العلماء في معنى الحديث إلى الذي نفينا . ووجه ما ذهبنا إليه أنه لا ينطبق على كثير ممن تشرّف بالتجديد أن يكون جدّد كل نوع من أنواع الدين، فكم من محدّث ليس له من تجديد الفقه نصيب، وكم من باعثٍ على أعمال حسنةٍ هو في نشر أقسام العلوم غريب . مع أنه لم يسمع أن أحداً من هؤلاء عمّ حديثُه وفقهه جملة الأقطار، وتشرفت بتجديده ـ بحسب الظاهر ـ جملة القرى والأمصار . وأما ما قلنا فالأمر سهل . مع أن كلمة (مَنْ) ليست نصّاً في الشخص الواحد . . ولا يبعد أن يكون لكل مملكةٍ وبلدةٍ من معظم الممالك مجدّد على رأس مائة . .) [١] .

وهكذا تلتقي أقوال هؤلاء الأئمة مع ما ذكرناه عن الإمام النووي من قبل في شأن الطائفة المنصورة . وهذا من شأنه أن يجعل كل مؤمن صادق الإيمان حريصاً على أن يقوم بدوره في عملية التجديد، فالقضية ليست شخصاً يُنتظر كما يُنتظر المهدي أو عيسى بن مريم عليه السلام، بل واجباً منوطاً في عنق كل داعية مسلم .

(١) بذل المجهود، ١٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤، طبعة دار الكتب العلمية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

معنى التجديد

والتجديد يعني جعل الشيء جديداً، فتجديد الدين يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه، وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه، ونشره بين الناس.

وهذا اللفظ (التجديد) يؤكد أن التجديد الموعود لا بد أن يكون على حين فترة من العلماء، واضمحلال لشأن أهل الحق وحملة السنَّة، فيبعث الله هؤلاء المجدّدين ليعيدوا للناس الثقة بدينهم، ويعلموهم ما جهلوا من شأنه. وهكذا يبدو جلياً أن التجديد لا يعني بحال من الأحوال إضافة شيء جديدٍ إلى الدين، كما أنه لا يعني بحالٍ من الأحوال اقتطاع شيء منه ونبذه. فهذا وذاك ليسا في الحقيقة تجديداً، وإنما هو مسخٌ وتجريد.

ليس من التجديد:

١ـ فالطريق الذي سلكه الفيلسوف الهندي (محمد إقبال)، والنتائج التي توصل إليها في محاضراته: (تجديد الفكر الديني في الإسلام) ليست إلا تفسيراً كلياً للدين بمجموع مكوناته: الألوهية ـ النبوة ـ البعث ـ الجزاء... إلخ.. هذا التفسير أو التصور الذي يلتقي في معظمه مع مذهب الفلاسفة الاتحاديين الذين يرون الخلق مظهراً يتجلى فيه الخالق، ليس تجديداً للعقيدة (أو كما سمّاها: الفكر الإسلامي)، ولكنه تجريد له من حقيقته الإلهية، وإضفاء للفكرة الصوفية الفلسفية عليه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والاتجاه العقلاني ـ عامة ـ الذي يحاول تفسير النصوص الشرعية وفق مقتضيات الفلسفة البشرية، ويلوي عنق النص لياً ليتفق معها ليس تجديداً للدين؛ لأن تجديد الدين يعني تثبيت معالمه وعقائده وأحكامه ليظهر تميزها واختلافها عما سواها من الأديان المحرفة المنسوخة أو من الآراء والفلسفات القاصرة، وليس يعني إذابة تميزه وخلخلة بنائه لينسجم مع هذه أو تلك.

٢ ـ والمنهج الإسلامي الذي اختطه بعض الدعاة استجابة للضغوط الواقعية والمتغيرات الاجتماعية والدولية ـ كما زعموا ـ واقتنعوا بموجبه بضرورة استبعاد بعض القضايا الشرعية والعقدية المسلَّمة لدىٰ الأمة وعلمائها منذ عصر الصحابة حتىٰ اليوم. ثم رأوا أنه لا يستقيم منهجهم إلا إذا هدموا الأسس التي بنيت عليها تلك القضايا ليتسنىٰ لهم أن يتحركوا بحرِّية، فرفعوا عقيرتهم بالمطالبة بتجديد هذه الأسس وتلك الأصول؛ فلا بدّ ـ في نظرهم ـ من إعادة النظر في (أصول الفقه) و (أصول الحديث) و (علم الجرح والتعديل)، بل من إعادة النظر في العقائد الإسلامية، وإخضاعها للنظرة العقلية المعاصرة!

إنها المدرسة العقلية تطلُّ من جديد، وإن كانت لا تلتزم بذات الأصول التي تواضع عليها العقلانيون الأوائل. وليس ثمة اعتراض منا علىٰ ضرورة صياغة أصول الفقه مثلاً صياغة تلائم العصر، أو تنقيح مسائله وقواعده علىٰ ضوء الأدلة من القرآن والسنَّة، ولا اعتراض لنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على ضرورة كتابة أصول الحديث كتابة جديدة من حيث التوسُّع في موضوعاته، ودراستها، وترجيح بعضها على بعض بالأدلة الصحيحة، مع مراعاة الأسلوب الجيد والإخراج الملائم.

ولا اعتراض لنا على ضرورة دراسة جوانب العقيدة ـ كما هي عند السلف ـ وإخراجها للناس أو تغيير طريقة عرض بعض القضايا المتعلقة بها، وربط الدراسة العلمية بالأوضاع المستجدة كقضية الحكم أو الولاء ـ مثلاً ـ.

ولا اعتراض لنا على ضرورة الدراسة الشرعية المتعمقة للقضايا البشرية الجديدة التي لم يتكلم فيها السلف ـ رحمهم الله ـ؛ لأنها لم توجد في زمانهم فلم تدع الحاجة إلى الحديث عنها. كل هذا مما نطالب به ونعتبره من صميم عملنا في خدمة هذا الدين. لكن أن يتحول الأمر إلى (تغيير) لشيء نعتقد أنه (جزء) من الدين فهذا ما لا نرتضيه، بل نعتبره تعدياً لحدود الله، وخللاً خطيراً في (الاستسلام) الذي هو روح الإسلام.

وقديماً قال بعض السلف: (إن قَدَم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم)[1].

(١) رسالة: (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)، للإمام الصابوني، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، ١/ ١٢٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالتجديد المقصود المنشود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة في أذهان الناس عن الدين، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين.

إن أي حركة تستهدف تغيير معالم الدين تكون في حقيقتها هدماً له وقضاء عليه، وإن بدا أنها تدعو إليه، أو تحقق له بعض المكاسب الآنية.

ونلحظ في كلمتي (**الأمة**) و(**دينها**) أن الأصل فيهما العموم والشمول، فهذه الحركة التجديدية التي تقوم عبر التاريخ الإسلامي في كل وقت يضعف فيه الخير وينكمش، تستهدف إصلاح الأمة بكاملها في جميع أقطارها على مستوياتها كافة، فهي ليست حركة إقليمية محدودة تقف عند بلد معين لا تتعداه أهدافها وطموحاتها، وليست مقصورة على فئة معينة من الفئات التي تكوّن المجتمع؛ بل تخاطب الشاب والشيخ والعامل والموظف والقريب والبعيد والرجل والمرأة، تخاطب كل فئة على قدر ما تحتمله عقولها، وبالأسلوب الذي يناسبها، فالإسلام لم ينزل ليكون ديناً لفئة خاصة من العقلاء الأذكياء مثلاً! كلا، بل الإسلام إنقاذ للبشرية ـ كلها ـ من ظلمات الكفر بأنواعه في الدنيا، ومن ظلمات النار والسعير يوم القيامة. وقد آن الأوان أن يعقل المسلمون والدعاة إلى الله خاصة ـ هذا المعنى فلا يحجبون الخير عن سائر فئات الناس ممن يتطلعون إلى الهداية ويتقبلونها، ولو كانت استجابتهم تقف عن حد معين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إن مجرد هداية فرد إلى الله تعالى، ووصله بحبل الله المتين، وإنقاذه من الكفر والشرك يعدُّ هدفاً بذاته، ومكسباً عظيماً للداعي والمدعو، حتى لو وقف الأمر عند هذا القدر؛ فكيف إذا أصبح هذا المدعو يحمل الدين الصحيح لمن حوله بحماس أو بغير حماس؟! وقد آن الأوان أن يتحرك الدعاة الصادقون إلى ميدان عملهم الأصيل: (الأمة).. الأمة التي عبثت بها أيدي المفسدين من: اليهود والنصارى والشيوعيين والمخرفين من الصوفية والرافضة والمعتزلة وغيرهم. هذا على صعيد (الأمة) الممتد الفسيح.

مجالات التجديد:

وحين نلحظ بجوار ذلك الكلمة الأخرى: **(من يجدد لها دينها)** نجدها تفتح أمام الدعاة آفاقاً جديدة في طبيعة التجديد ونوعه.

إن هذا التجديد (للأمة) لا ينحصر في مجال واحد فحسب، بل يمتد امتداداً آخر ليشمل تجديد الدين كله: فيشمل:

أولاً: التجديد في مجال العقيدة:

وهيهات أن يكون التجديد يعني إضافة شيء آخر إلى العقيدة الإسلامية، كلا.. بل التجديد هو تخليص العقيدة من هذه الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية ليس فيها أثر لصنع البشر وآرائهم وفلسفاتهم. ولتفهم كما فهمها بسهولة ووضوح ـ سلف هذه الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فأول خطوة في مجال التجديد العقدي هو تنقية العقيدة الإسلامية من آثار علم الكلام ومن جميع ما علق بها.

ومن التجديد في مجال العقيدة ربط آثارها الواقعية بها، فلا يكفي أن يؤمن المرء بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله على مقتضى ما يدين به أهل السنَّة إيماناً عقلانياً جافاً، بل لا بد من العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان.

لا بد أن تطرق المعاني الباطنة التي هي جزء لا يتجزأ من العقيدة والإيمان: عمل القلب، وعمل القلب هو الحب والبغض والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والإنابة والخشوع. ولقد غفل الناس عن هذه المعاني، حتى العلماء - إلا من رحم الله - فطال الأمد، وقست القلوب، وصار الحديث عن صحة القلب ومرضه وعلاجه، وعن المعاني الإيمانية القلبية وقفاً على الصوفية الذين أسرفوا وغلوا حتى عبدوا ذواتهم ومشايخهم، فضلوا وأضلوا كثيراً عن سواء السبيل. ولقد كان أئمة السلف نماذج حية في صدق اللجأ إلى الله، وعمق الصلة به، ويقظة الضمير وحساسيته من جراء ذلك، وأوفى الناس حظاً من ذلك صحابة رسول الله ﷺ ثم التابعون لهم بإحسان، ثم العلماء العاملون على مدار القرون. ومن يتأمل سيرهم وأحوالهم يجد من ذلك الشيء العجيب الغريب.

إن من واجب الحركة التجديدية أن تولي هذه القضية عناية كبيرة،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهي الأثر العملي المباشر للتصديق بالعقيدة؛ ولذا نجد أن الله ـ تعالى ـ بعد ما أثنى على المؤمنين بتصديقهم بيوم الدين، أتبع ذلك بذكر إشفاقهم من عذاب الله، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾.

[المعارج: ٢٦ – ٢٨].

وإن معالجة الانحراف الظاهر على المستويات كافة لا تستقيم إلا إذا صاحبها معالجة الانحراف الباطني؛ فما من فساد ظاهر إلا وله رصيده من الفساد الباطني، ولا يحصل تغير الظاهر إلا بتغير الباطن.

وإن توجيه الناس لالتزام الأوامر واجتناب المناهي لا يستقيم إلا إذا صاحبه تربية للضمير وإحياء للمشاعر القلبية الصادقة التي تقف كالحارس اليقظ الساهر الذي يمنع تسلل الضعف أو التقصير. فهذا على ما وصفناه من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولكن طرح مثل هذه الموضوعات لا يحسنه كل أحد، ولا يفلح فيه ويثمر إلا من كان يتكلم عن وجدٍ وانفعال، أما عملية (التكلف) فلا تجدي شيئاً.

إن على الداعية الصادق أن يتعاهد قلبه، ويحرك أشواقه ليكون لكلامه التأثير المطلوب.

ومن التجديد المطلوب في مجال العقيدة: عرض الانحرافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين المسلمين مما له تعلق بجوانب الاعتقاد، مع بيان خطرها وتأثيرها، والتحذير منها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالحديث عن موالاة الكافرين وحكمها وتأثيرها في النفوس، والخطر الزاحف بسببها سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع، والتركيز على ضرورة استقلال الأمة المسلمة وتميزها، واستعلائها بإيمانها وشريعتها على الأوضاع والعقائد والنظم الجاهلية ـ هذا الحديث وربطه بقضية العقيدة أصبح مطلباً مُلِحّاً لمواجهة لحوق كثير من المنسوبين إلى هذا الدين بمعسكرات الكفر، وربط كثير من الأمم المسلمة مصيرها بالكافرين، والولاء السافر المكشوف الذي يعطيه الحاكمون لأعداء الله، والانفتاح الرهيب للمسلمين على المجتمعات والشعوب الوثنية والنصرانية و غيرها.

والحديث عن قضية الحكم بغير ما أنزل الله، وحكمه، وضرورة رد الأمور كلها إلى شرع الله؛ لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به. وتربية الأفراد والمجتمعات على الولاء لشريعة الإسلام، والحذر من تنقصها أو اعتقاد أفضلية غيرها، أو مساواته لها، أو جواز الحكم بغيرها، بحيث يصبح الإيمان المطلق بشريعة الله قناعة راسخة لدى كل مسلم، حتى لو فرضت عليه النظم البشرية الجاهلية.

كل ذلك أصبح طَرْقه والتركيز عليه ضرورة في ظل سيطرة القانون الوضعي على المسلمين من جهة، وانتشار الأفكار المشككة في الإسلام وصلاحيته للبقاء والحكم من جهة ثانية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومثل هذا وذاك التركيز على توحيد العبادة، وخاصة في البلاد التي جهل الناس فيها معنى الألوهية وصرفوا العبادة للشيوخ والأولياء، وقدسوا الضرائح أكثر من تقديس المساجد!

وبالجملة فالتأكيد على أمر من أمور العقيدة لا يعني أن هذا الأمر أخطر من غيره من القضايا التي لم يعنَ بها بنفس القدر؛ لأن الدعوة إلى الله تهتم بمعالجة جوانب الانحراف، وحيثما اتسعت دائرة الانحراف في مجال كانت الحكمة في التركيز عليه مع عدم إهمال ما عداه.

ثانياً: التجديد في مجال النظر والاستدلال:

ويشمل التجديد مجال النظر والاستدلال، وإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيداً عن عصبية المذاهب. فلسنا نعتقد أن الحق محصور في مذهب بعينه لا يخرج عنه بحال؛ ولذا فالبحث عن الحق هو ضالة المسلم المنشودة، أنى وجده سَعِد به وقبله غير ناظر إلى هذه الحواجز المذهبية. ولضمان سير منهج التفقه والاستنباط سيراً سليماً بعيداً عن الانحراف أو الفوضى التشريعية؛ فلا بد من صياغة المنهج السليم للتفقه من خلال استقراء طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

ثالثاً: التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي:

بالعمل على صياغة حياة المسلمين بتفصيلاتها صياغة إسلامية شرعية، والاستفادة من المعاني الوجدانية القلبية التي يفترض أنها بدأت

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تستيقظ في النفوس، بربط الأحكام التفصيلية بها.

إن الانحراف السلوكي في حياة المسلمين المؤمنين حقاً بهذا الدين يرجع إلى أحد سببين:

١ـ إما الجهل بحكم الله ورسوله في هذه المسألة.

٢ـ وإما ضعف الإيمان وضعف الإرادة بحيث تغلب الإنسان شهوته، أو تغلبه ظروفه فيقع في المحظور. فمعالجة الجهل هي بالتعليم والتفهيم وربط الناس بالنصوص الشرعية، ومعالجة الضعف الداخلي هي بمخاطبة القلوب والتأثير عليها.

ومما نلحظه في واقع المتصدين للوعظ والتعليم اليوم أن كثيراً منهم يعنى بذكر الله واليوم الآخر والجنة والنار وعذاب القبر والموت وسكراته. وبغضِّ النظر عن ركاكة الأسلوب الذي يستخدمه أكثر هؤلاء، وعدم قدرتهم على التسلل اللطيف إلى قلوب السامعين؛ فإن الخطأ الذي نشير إليه هو أنهم لا يربطون المعاني التي أثاروها بقضايا سلوكية واقعية يجب أن تعالج.

وفئة أخرى من أهل الفقه تُعنى ببيان الحلال والحرام وسائر الأحكام، وبغض النظر عما يلاحظ عليها في منهجها ونتائجها ووسائلها؛ فإن الأمر الذي نلحظه الآن هو عدم ربط هذه الأحكام بأصولها الإيمانية التي تدعو إلى العمل بها وامتثالها.

وأنت حين تتأمل طريقة القرآن والسنَّة تجد أنه في الفترة المدنية حيث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تتابع نزول الأحكام التفصيلية المنظمة لحياة المسلمين، أصبح الحديث عن الحكم مرتبطاً بإثارة العقيدة، وأصبح الكلام في العقيدة مستمراً في التحريض على امتثال الحكم، ولذلك تذيل الآيات ببيان صفة من صفات الله كالعلم والحكمة والعفو والمغفرة والانتقام وشدة العقاب. . أو تتبع آيات الأحكام بآيات أخر تُرغِّب في عفو الله ورضوانه والجنة، وتحذِّر من سخطه والنار.

وإذا أحسن الداعية سلوك هذا الطريق فسيجد فيه خيراً كثيراً، وسيلمس آثاره الواضحة من قريب.

رابعاً: ويشمل التجديد فضح المناهج والاتجاهات والأوضاع والمبادئ والسبل المخالفة للإسلام:

ليحيا من حيَّ عن بيِّنة، ويهلك من هلك عن بيِّنة. ولقد كان من مهمة الأنبياء والمرسلين ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ كشف طريق الضلال لئلا يلتبس بطريق الحق، فكان النبي يقول: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ [**الشعراء**: ١٥٠ – ١٥٢]. واستبانة سبيل المجرمين هي من مقاصد القرآن: ﴿**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [**الأنعام**: ٥٥].

فمن مهمات الدعوة الإسلامية على مدى الزمن أن تزيل أي التباس أو غموض قد يصيب الناس، يلبس فيه المنافق ثوب المؤمن الصادق، والمبتدع الضال ثوب المتبع المهتدي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شـــروط المجـدد

نستطيع أن نصف المجدِّد بأنه يعيش في قمة عالية، وأمته تعيش في سفح هابط، وهو يعمل لانتشال هذه الأمة من سفحها لتحاول الصعود إلى القمة.

فهو مثل أعلى في صحة العلم ووفرته واتساعه، وفي صدق العمل وإخلاصه. ورجل كهذا أقل ما يوصف به أنه (سالمٌ) من علل الأمة وأمراضها، ناج من الآفات والانحرافات التي تنخر فيها، (متحلٍّ) بالصفات التي يدعو إليها.

ولقد تحدثنا قبل قليل عن مجالات التجديد، ومنها يمكن معرفة صفة المجدِّد وشرطه.

ولكن بعض الذين كتبوا في تعيين المجددين من المصنفين دأبوا على ذكر أسماء بعض العلماء الذين لا يُسَلَّم لهم كونهم من المجددين.

بل بلغ الحال أن عَدَّ بعضُهم أحدَ الخلفاء من المجددين، في حين عده البعض الآخر من البلايا التي ابتليت بها الأمة على رأس المائتين، والتي يبعث المجددون لمحو آثارها ومقاومتها!

ودأب آخرون على سرد أسماء علماء مذهبهم عبر القرون من المشتغلين بفروع الفقه، وعدّهم ـ هم ـ المجددون.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وما ذلك إلا لعدم وجود الضابط الواضح الذي يوزن به الرجال فيطيش أقوام، ويرجح آخرون.

لذلك فنحن بحاجة إلى وضع بعض الضوابط والاحترازات المفيدة في هذا الباب.

ونحن بحاجة إليها ـ أيضاً ـ من ناحية علمية بحيث نستطيع ـ في واقعنا ـ تمييز الأصوات المحقة من الأصوات المبطلة، ولا يلتبس علينا هذا بذاك.

ولذا فسوف نقتصر على ما نرى أنه ضروري في هذا المجال غير متعرضين للصفات الأخرى التي يسهل عدُّها والحديث عنها:

أ ـ فالتجديد مهمة «الفرقة الناجية»، وهم «أهل السنَّة والجماعة»:

والفرقة الناجية هي السائرة على نهج الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في الاعتقاد وفي غيره، وهي فرقة من ثلاث وسبعين فرقة، وقد سبق بيان بعض خصائصها وصفاتها قبل صفحات، ومن هذا المنطلق نقول: ليس للفرَق التي تشايعت على الباطل، وتآلفت على الهوى، من التجديد نصيب، وكيف وهي تهدم الدين وتشوِّه حقيقته وتلبسه ثوباً غير ثوبه؟!

إن التجديد لا بدّ أن ينطلق من وضوح في الاعتقاد: في الإيمان، والأسماء والصفات، والولاء والبراء، والعبادة، والتشريع، بحيث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يكون مذهب أهل السنَّة والجماعة في كل ذلك هو المنطلق الأساسي للتجديد.

والدين عندنا ليس عاطفة هوجاء غامضة تقول: لا تفرقوا الصف، ولا تكفروا المسلمين!

الدين عندنا ليس تصفيقاً لكل من هتف باسم الإسلام، ولو كان يرفع راية الإسلام بيد، ويسعىٰ للإجهاز عليه باليد الأخرىٰ.

الدين عندنا وحي منزل مضبوط محفوظ يُحتكم إليه في تقويم الناس، ومن اضطرب في يده هذا الميزان ضاع في التيه البعيد!

ومن الغريب أن أقواماً في زماننا عدّوا الشيعة الرافضة مجددين للإسلام، ولا ندرىٰ ما هذا الإسلام الذي جدَّدوا؟!

وأغرب من ذلك أن يُدخلهم عالم مشهور كابن الأثير في عداد المجددين، فيعدُّ أصحاب المذاهب الأربعة والإمامية![1].

وما أجمل ما ردّ عليه صاحب عون المعبود حيث قال: «ولا شبهة في أن عدَّهما من المجددين خطأ فاحش، وغلط بيّن؛ لأن علماء الشيعة وإن وصلوا إلىٰ مرتبة الاجتهاد، وبلغوا أقصىٰ المراتب من أنواع العلوم، واشتهروا غاية الاشتهار، لكنهم لا يستأهلون المجددية! كيف وهم يخربون الدين؛ فكيف يجددونه؟ ويميتون السنن؛ فكيف يحيونها؟

(١) جامع الأصول، ١١/ ٣٢٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويروجون البدع؛ فكيف يمحونها؟ وليسوا إلا من الضالين المبطلين الجاهلين، وجلّ صناعتهم التحريف والانتحال والتأويل لا تجديد الدين، ولا إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنَّة»[١]. وليست المسألة مقصورة على الرافضة فحسب، فالصوفية الذين اعتنقوا الفلسفات اليونانية، ومارسوا الطقوس الهندية الوثنية، وقتلوا روح الجهاد، لا يقلّون خطراً عنهم.

وأصحاب المدرسة الكلامية في أبواب الاعتقاد ممن عارضوا نصوص الكتاب والسنَّة بخيالات وشبهات عقلية فاسدة هم حجر عثرة في طريق التجديد.

وهذا المجدِّد الأول عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يقول: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التحول»[٢].

وهذا مجدد آخر وهو الشافعي ـ رحمه الله ـ يقول: « لأن يبتلي الله المرء بكل ذنب نهى الله عنه ـ ما عدا الشرك ـ خير له من الكلام»[٣].

وأقوال الأئمة المجددين في ذلك مأثورة مشهورة.

وهكذا يبقى التجديد محصوراً في أفراد الطائفة المنصورة والفرقة الناجية التي سلمت من البدع المحدثة في الدين وخاصة البدع الاعتقادية.

---

(١) عون المعبود، ٤/ ١٨٠.
(٢) شرح أصول الاعتقاد، للالكائي، ١/ ١٢٨.
(٣) شرح أصول الاعتقاد، ١/ ١٤٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ب ـ ولا بدّ من العلم الشرعي الصحيح، بل اشترط بعضهم «الاجتهاد» كشرط أساسي للمجدد(١).

قال السيوطي:

بأنه في رأس كل مائة يبعث ربنا لهذي الأمة
منّاً عليها ـ عالم يجدد دين الهدى لأنه مجتهدُ

وقال ضمن الشروط:

يشار بالعلم إلي مقامه وينصر السنَّة في كلامه
وأن يكون جامعاً لكل فن وأن يعمَّ علمهُ أهل الزمن(٢)

واشتراط الاجتهاد ليس عليه دليل. أما كونه طويل الباع في العلوم، واسع الخطو فيها جميعها فهذا ضرورة للتجديد؛ لأن من مهمات التجديد إحياء العلم الشرعي، ونشر العمل بالسنَّة، وتعليم الناس دينهم، والذين يتصدون لذلك لا بد أن يكونوا على جانب من العلم متين، إلى جانب معرفة أوضاع الحياة المدنية وما يناسبها.

ج ـ ومن لفظ «التجديد» يظهر جلياً أن المجدِّد صاحب إرادة فاعلة وثابة في التغيير:

فهو ينطلق بالأمة من واقعها المرفوض المنحرف ليصعد بها نحو طريق

(١) التنبئة، ١٧ ب، ١٨ أ.
(٢) التنبئة، ١٨ ب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الصلاح والنجاح. أما أولئك الذين يرتضون الواقع السيئ ويباركونه، ويرون أنه من أزهى عصور الأمة فهيهات أن يكونوا من التجديد في شيء.

ولذلك سمَّى الرسول ﷺ الفئة المتمسكة بـ«الطائفة المنصورة»، وفي هذا إشارة إلى أنها تجاهد في سبيل الله، وتناضل عن السنن، وتقارع المبتدعة الضالين فيعينها الله وينصرها، ولذلك فهي «منصورة».

وأشار الرسول ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: «ظاهرين»، وفي بعض الألفاظ: «لعدوهم قاهرين»، فهو ظاهر ظهور غلبةٍ بالحجة والبرهان، وظهور قهرٍ للأعداء ومكابدة لهم.

وفي رواية ثالثة: «لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلا ما يصيبهم من اللأواء».

ومن مجموع هذه الروايات ندرك أن التجديد:

أولاً: إدراك واع لحال هذه الأمة وما تعانيه.

وثانياً: إرادة عازمة على التغيير.

وثالثاً: إمضاء لهذه الإرادة وتحقيق عملي لها.

إن اللأواء والجهد لا يصيب إلا من جاهد، وطريق التجديد والإحياء ليس مفروشاً بالورود بل هو طريق البذل والمحاولة والعزم.

﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

[**العنكبوت**: ٦٩].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني

تاريخ الحركة التجديدية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلمامة تاريخية بالحركة التجديدية

حين بُعث رسول الله ﷺ إلى هذه الدنيا كانت الحياة قد أصابها الفساد والانحراف في كل مجالاتها، وكانت الدعوات السماوية السابقة في حالة احتضار وكرب شديد على أيدي أتباعها الذين لعبوا بها وشوهوها، وأساؤوا إليها أكثر من إساءة أعدائها المعلنين.

فكانت بعثته ﷺ انتصاراً للرسالات السماوية، وإنقاذاً للجماعة البشرية، وحرباً على جميع ألوان الشرك والجاهلية.

وبدأ ﷺ بدعوته فرداً واحداً غريباً في عالم مظلم مضطرب يسوده قانون الغاب وتتعاوى فيه الذئاب، ويفترس القوي فيه الضعيف، فكيف يتحرك فردٌ أعزل في مثل هذه الحال؟.. كيف يتحرك وهو يقف ضد هذا العالم كله في عقيدته وشريعته ومنهجه؟.. والمبعوث برسالة السماء لا يمكن أن يقف مهما كانت العقبات.. ومن هنا بدأ الرسول ﷺ تلك البدأة المحرقة، وليتصور كلٌ منا تلك اللحظات التي شعر الرسول ﷺ فيها بأنه النبي المختار من عند الله لإنقاذ البشرية.. أي مشاعر كانت تتحرك في قلبه العظيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟!

رجل واحد في مكة في وسط هذه الصحراء الملتهبة الممتدة يحمل هم تغيير العالم كله من أقصاه إلى أقصاه! يا للهمم القعساء!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وبدأت تلك الرحلة الطويلة المضنية بخطوة واحدة، فأسلم أبو بكر وعلي وخديجة وبلال وزيد بن حارثة، فكان الواحد منهم يعد أحياناً ربع الإسلام أو خمس الإسلام!

ولم تمض فترة وجيزة حتى أُمر ﷺ بمخاطبة قريش علناً بالدعوة، وخاصة عشيرته الأقربين، وهنا تأخذ الدعوة خطاً جديداً لا يصبر عليه إلا أشداء الرجال، فيجهر ﷺ بدعوته أمام الملأ، ومن هذا الموقف بدأت الحرب الضارية تشن ضده وضد أتباعه: حربٌ سلاحها كل سلاح، سلاح الدعاية، سلاح التهديد، سلاح الضرب سلاح التجويع، سلاح المقاطعة، سلاح السخرية اللاذعة، وبدأت هذه القلة تمارس الصبر الجميل أمام حرب شعواء لا يهدأ لها أوار ولا يقرُّ لها قرار.

ولكن الحق لا بد أن يجد آذاناً صاغية حتى في أحط البيئات وأفسد المجتمعات.. فها هي دعوة الإسلام المحصورة في بعض بيوتات مكة تستقطب فرداً من هنا وفرداً من هناك، ممن لم تصرفهم الدعايات المضللة المغرضة، حتى تكاثر الأتباع، وتجاوزت الدعوة نطاق مكة بصورةٍ فردية.

ومع تكاثر الأتباع كان القرشيون يشعرون بالخطر الحقيقي من وراء هذه الدعوة فيزدادون في عدوانهم وطغيانهم، ويسعون إلى إيقاف هذا المد أوحصره في أضيق نطاق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حتىٰ كان إسلام الأنصار وبيعة العقبة الأولىٰ ثم الثانية، فكان هذا أول انطلاق حقيقي خارج مكة، وبه أخذت الدعوة مدىٰ أوسع وانعتقت من سلطة مكة فلم يعد بإمكانها القضاء عليها.

ولكنها كانت تعمل للحيلولة دون قائد هذه الدعوة ـ عليه صلوات الله وسلامه أبداً أبداً ـ وبين أن يلحق بهؤلاء المدنيين بحيث يشكل القوة التي تخافها قريش وتخشاها إذا انطلق ليمارس دعوته بدون قيود ولا معوقاتٍ تذكر.

ولذلك ائتمرت عليه لتمنع هجرته حتىٰ خططت لقتله والخلاص منه، وهذا يدل علىٰ حدة شعور القرشيين بالخطر المحدق، وإلا فلم يكن قتله ـ عليه السلام ـ بالأمر اليسير، وربما كان يؤدي إلىٰ حرب أهلية طاحنة.

ولكن الله ـ تعالىٰ ـ كان يحفظه ﷺ، وقد كتب له أن يؤدي دوره في المدينة المنورة الزهراء، فيسبق ـ عليه الصلاة والسلام ـ تخطيطهم، ويخرج ومعه بعض أتباعه.. وبهذا يفلت الزمام من قريش وتصبح معركتها معه ﷺ في ميادين القتال فحسب.

وفي المدينة ينشط المسلمون في نشر الإسلام بين أهلها نشاطاً كبيراً، ويشيع وجوده ﷺ بينهم جواً قوياً من الثقة والاطمئنان والحماس، حتىٰ يدخل في الإسلام عدد كبير من الأوس والخزرج، بعضهم من علية القوم وكبرائهم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتبدأ المؤسسات اللازمة تتكون شيئاً فشيئاً: المسجد وهو مدرسة للتوجيه والتربية ثم الجيش.. وهكذا.. خطوات جبارة حقاً.. وكيف لا تكون كذلك وهي نقلة نوعية بل قفزة من مرحلة التضييق والاضطهاد في مكة التي كان المسلمون غير مأذونين فيها برد العدوان ولا قادرين، إلى مرحلة بناء الدولة بأجهزتها الكبيرة مع الاستعداد للجهاد ومنازلة الأعداء المعتدين.

وظلت الدولة الفتية تنازل أعداءها بجندها العقائديين فتجهز عليهم واحداً بعد الآخر وتختط لنفسها طريقاً سالكة عبر المصاعب والمحن والآلام الجسام.

ولم يقبض الله نبيه ﷺ حتى أقر عينه بقيام دولة الإسلام، وإعزاز أهله، فكمل الدين، وتمت النعمة، وتفيأ الناس ظل الإيمان الوريف.

وحين نزلت هذه الآية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [**المائدة**: ٣] بكى عمر بن الخطاب! فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنَّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل؛ فإنه لم يكمل شيءٍ إلا نقص! فقال: صدقت»[(١)].

ولقد كان الصحابة يعلمون أن من سنَّة الله أن هذا الوضع الذي يعيشونه في حياته ﷺ لن يدوم، فكانوا يتطلعون إلى معرفة ما يكون بعد، وإلى الموقف السليم الذي يواجهون به التغيرات المخوفة المرتقبة،

(١) تفسير الطبري، ٩/ ٥١٩، رقم الأثر: ١١٠٨٣، تحقيق: شاكر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حتىٰ قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال ﷺ: نعم... الحديث»[1].

ولا تظن أن ثمة شكاً في أن لوفاة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الأثر العظيم في حياة المسلمين، فقد كان أول خلاف خطير حصل بين المسلمين في قضية كبيرة هو اختلافهم بعد وفاته ﷺ بقليل علىٰ الخليفة من بعده يوم السقيفة.

هذا ـ وكان موته ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ بعد نزول آية المائدة بواحد وثمانين يوماً! وقد كان لوفاة الخليفتين من بعده أثر آخر يدل عليه حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ حين سأله عمر عن الفتنة التي تموج كموج البحر، فقال له: «ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟! إن بينك وبينها باباً مغلقاً! قال: فيكسر الباب أو يفتح؟ قال: بل يكسر. قال: ذلك أحرىٰ ألا يغلق أبداً! قال قائل لحذيفة: هل كان عمر يعلم مَن الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ الليلة؛ إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن

(١) أخرجه البخاري في: ٦١ ـ كتاب المناقب، ١٥ ـ باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٦٠٦، وفي ٩٢ ـ كتاب الفقه، ١١ ـ باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ رقم ٧٠٨٤، ومسلم في: ٣٣ ـ كتاب الإمارة، ١٣ ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم ٥١، ٥٢ (١٨٤٧)، وأحمد في المسند، ٥/ ٤٠٤، مع اختلاف يسير.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نسأل حذيفة: مَن الباب؟ فقلنا لمسروق: سَلْه. فسأله، فقال: عمر»[١].

ثم كان لانتهاء خلافة الراشدين الأربعة أثر ثالث يدل عليه قوله ﷺ: «الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون بعد ذلك الملك». قال سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ: «أمسك خلافة أبي بكر ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ سنتين، وخلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ عشر سنين، وخلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ اثني عشر سنة، وخلافة علي ـ رضي الله عنه ـ ست سنين»[٢].

وكان لانخرام جيل الصحابة، ثم لانخرام جيل التابعين، ثم لانخرام جيل تابعي التابعين آثار أخرىٰ يدل عليها قوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم... الحديث»[٣].

---

(١) رواه البخاري في: ٩ ـ كتاب المواقيت، ٤ ـ باب الصلاة كفارة، رقم ٥٢٥، ورواه مسلم في: ١ ـ كتاب الإيمان، ٦٥ ـ باب إن الإسلام بدأ غريباً، رقم ٢٣١، ٥٢ ـ كتاب الفتن، ٧ ـ باب الفتنة التي تموج كموج البحر، رقم ٢٦، ورواه الترمذي في: ٣٤ ـ كتاب الفتن، ٧١ ـ باب، رقم ٢٢٥٨، ورواه ابن ماجه في: ٣٦ ـ كتاب الفتن، ٩ ـ باب ما يكون من الفتن، رقم ٣٩٥٥، ورواه أحمد ٥/ ٣٨٦، ٤٠١، ٤٠٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٢٠ ـ ٢٢١، وبنحوه أبو داود في: ٣٤ ـ كتاب السنة، ٩ ـ باب في الخلفاء، رقم ٤٦٤٦، ٤٦٤٧، والترمذي في: ٣٤ ـ كتاب الفتن، ٤٨ ـ باب ما جاء في الخلافة، رقم ٢٢٢٦.

(٣) رواه البخاري في: ٨١ ـ كتاب الرقاق، ٧ ـ باب ما يحذر من زهرة الدنيا... رقم ٦٤٢٨، ٦٤٢٩، ورواه مسلم في: ٤٤ ـ فضائل الصحابة، ٥٢ ـ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم ٢١٠ ـ ٢١٦ (٢٥٣٣)، ورواه أبو داود في: ٣٤ ـ كتاب السنة، ١٠ ـ باب في فضائل أصحاب رسول الله، رقم ٤٦٥٧، ورواه الترمذي في: ٣٤ ـ=

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وإلى هنا تنتهي القرون المفضلة التي شهد النبي ﷺ بخيريتها وفضلها، وصار ما سارت عليه من العقائد والأخلاق بل والأحكام هو الهدي الصحيح الذي لا يسع مؤمناً من المؤمنين أن يخالفه، وصار لزاماً على كل مؤمن أن يحبهم بحب الله ورسوله، ويحب ما كانوا عليه من أمر الدين، ولا يرى الصلاح إلا في الرجوع إلى ما كانوا عليه؛ فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ـ كما قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ.

ثم يظل الخط العام للأمة يسير تدريجياً باتجاه الضعف والنقص والبعد عما كان عليه رسول الله ﷺ كما قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: «لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌ منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ»(١).

= كتاب الفتن، ٤٥ ـ باب ما جاء في القرن الثالث، رقم ٢٢٢١، ٢٢٢٢، ورواه النسائي في المجتبى، كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ٧/ ١٧. ورواه ابن ماجه في: ١٣ ـ كتاب الأحكام، ٢٧ ـ باب كراهية الشهادة لمن لم يشهد، رقم ٢٣٦٢، وهو عنده أيضاً برقم ٢٣٦٣، بلفظ: «احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم..». ورواه أحمد في المسند في مواضع كثيرة منها: ١/ ٣٧٨ ـ ٢/ ٢٢٨ ـ ٤/ ٢٦٧ ـ ٥/ ٣٥٠.

وجاء في المواضع السابقة عن عدد من الصحابة هم: عمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وأبو هريرة، وعمر بن الخطاب، والنعمان بن بشير، وبريدة الأسلمي، رضي الله عنهم أجمعين.

(١) رواه البخاري في: ٩٢ ـ كتاب الفتن، ٦ ـ باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم ٧٠٦٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فلا تزال الأمة كلما بَعُد عهدها بنبيها في استئخار عن منهجه، هذا من حيث الجملة والعموم، ولكنه لا يعني الاطّراد الحتمي في كل عصرٍ بالنسبة للذي قبله، بل من الثابت شرعاً وواقعاً أن ثمة عصوراً تكون خيراً من التي قبلها وأفضل، وأصدق مَثَلٍ لذلك زمان المهدي ثم عيسى بن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومثله عهد عمر بن العزيز ـ رحمه الله ـ.

ولذلك لا يزال الله يمن على هذه الأمة بتصديق موعود نبيه ﷺ فيها ببعثة المجددين الذين يحيون ما اندرس من أمر الدين، ويعيدون إلى الأمة حياتها الحقيقية بإعادتها إلى نهج الإسلام الصحيح.

فحين تمر فرقة على الأمة يصيبها في دينها ما يصيبها فيخرج المجدِّد ليعيدها إلى حالٍ قريب من الحال الأول، ثم تبدأ آثار المجدِّد في الزوال والتلاشي حتى لا يأتي القرن الآخر إلا والأمة قد بلغت من الضَعة والضعف أشد مما بلغت قبل حركة التجديد الأولى، فيأتي المجدِّد فيعيد الأمة إلى حالٍ قريب من حالها في عهد المجدِّد الأول. وهكذا يتلاءم خط سير الأمة المنحدر مع خط التجديد والإحياء التصاعدي.

ولا يكاد المجدِّد التالي يكون خيراً من سابقه إلا في حالات نادرة، كما في ظهور المهدي ونزول عيسى ـ عليهما السلام ـ؛ فإنهما يجددان الدين أي تجديد.

مع أن الأمة كلما امتد بها الزمن وزاد انحرافها كانت حاجتها إلى

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المجدِّد الأقوىٰ أشدُّ وآكد؛ ولهذا رجحنا فيما مضىٰ أن التجديد مهمة الطائفة الناجية المنصورة، وليس مهمة فرد بعينه، وأنه إن جاز أن يقال في مجدد القرن الأول أنه عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ؛ فإن ذلك لا يجوز في غيره، مع قناعتنا التامة بظهور آحادٍ من الناس يختصهم الله بمزيد فضل من عنده، فيكون لهم من التجديد أوفىٰ نصيب.

وفي الصفحات التالية نعرض لحركات التجديد التاريخية البارزة؛ لتكون أنموذجاً يحتذىٰ للدعاة الصادقين المتطلعين إلىٰ تجديد الدين لهذه الأمة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحركة التجديدية الأولى
عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)

يشهد المتتبع لكلام العلماء عامة في شأن المجددين أن هناك ما يشبه الإجماع على اعتبار عمر بن عبد العزيز هو مجدد القرن الأول.

وكان أول من أطلق ذلك الإمام محمد بن شهاب الزهري، ثم تبعه الإمام أحمد، حتى لم يكد أحدٌ يخالف في ذلك.

ونحن نسلِّم بذلك، ولكننا نقول: ما كان لعمر بن عبد العزيز أن يقوم بهذه الحركة الواسعة المتعددة الجوانب لولا وجود عددٍ كبير من أجلاء التابعين وساداتهم، وهم كانوا ساعده الأيمن في تنفيذ مشاريعه التجديدية العظيمة.

ولكي ندرك قدر الإصلاح والتجديد الذي أحدثه عمر نرسم الخطوط العريضة للانحراف الذي عانته الأمة، والذي كانت حركة عمر الإصلاحية تغييراً له، فنقول:

إن قيام الدولة الإسلامية الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ جاء في وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، فجمعهم الله على معاوية بعد تنازل الحسن في «عام الجماعة»، وكان ذلك سنة ٤٠ هـ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وليس يعنينا الآن «تقويم» الدولة من حيث الجملة، بل الذي نقصده هو الإشارة إلى أن مجيئها بعد عصر الخلفاء الراشدين له أثر كبير في نظرة المسلمين آنذاك إليها حيث كان الخطأ الذي نراه نحن اليوم صغيراً، يعدُّ عندهم شيئاً كبيراً. . وهذا ملحوظ لديهم حتى في تقويمهم للأفراد، وكلامهم فيه مأثور مشهور.

عمر بن عبد العزيز يرشح للخلافة:

لما عزم سليمان على كتابة كتاب بولاية العهد من بعده استشار بعض كبار التابعين فأشاروا عليه بعمر بن عبد العزيز، فسمَّاه، ثم سمَّى بعده يزيد بن عبد الملك.

وكان عمر بن عبد العزيز رجلاً عاقلاً ديّناً صيّناً، ولم يعرف قبل ذلك بمزيد فضل عن نظرائه وأشباهه؛ ولذلك اختاره هؤلاء التابعون ورشحوه، فلما قرئ كتاب سليمان بعد موته كان عُمَرُ في آخر الناس فلما سمع اسمه أسف واسترجع ـ في حين استرجع غيره لفوات الخلافة ـ وتباطأ في القيام، فقام إليه ناس فأخذوا بعضديه وذهبوا به إلى المنبر، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « **أيها الناس! إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورةٍ من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم!**»، فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك، فلِ أَمْرَنا باليُمْن والبركة»[1].

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي، ص ٦٥، دار الكتب العلمية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فكان هذا أول عمل تجديدي قام به عمر، حيث أعفى الناس من المُلك العضوض وأعاد الأمر شورى، وحين اختاره الناس وألزموه بتولي الخلافة ناء به ثقل المسؤولية حتى «عُقِرَ به»(١)، وضاق بها ذرعاً، وبان الهمُّ على مُحيَّاه، فقال له أهل مواليه: «يا أمير المؤمنين! كأنك مهتم؟ فقال: لمثل الأمر الذي نزل بي اهتممت، إنه ليس أحدُ من أمة محمد في مشرق ولا مغرب إلا له قِبَلي حقٌ عليَّ أداؤه إليه، غير كاتب إليَّ فيه، ولا طالبه مني»(٢).

ثم بدأ عُمَرُ في عمل الإصلاحات بجدٍ يتناسب مع هذا الشعور بالمسؤولية، فتنحَّى عن المواكب الفخمة التي كانت تعمل للخلفاء من قبل، واسترد الامتيازات التي وصلت إلى أيدي بعض قرابته، وقد بدأ بزوجته فاطمة فخيَّرها بين نفسه وبين حليّها ومتاعها فاختارته هو، فأخذ الحلي ووضعه في بيت المال.

ثم بدأ حركة تغيير واسعة في المسؤوليات والولايات فولَّى الفقهاء والمشهود لهم بالصلاح وأبعدَ من يُزَنُّ بأدنى شبهة، ثم تعاهد هؤلاء الولاة بالنصح والتوجيه والرقابة والمتابعة، ووسَّع على الناس بإلغاء الضرائب، وتوزيع الثروة بالعدل، وتنظيم إيراد الزكاة وصرفها حتى لم يوجد من يأخذ الزكاة غنىً وورعاً.

(١) أي عجز عن القيام، وانظر: سيرة عمر، لابن الجوزي، ص ٦٤.
(٢) سيرة عمر، ص ٦٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم عمل على تزكية نفوس الناس وأخلاقهم وبيئاتهم من الأمراض والنقائص الاجتماعية والخُلُقية، وإعانتهم على السمّو والارتفاع بشتى الوسائل، فكانت مجالسه عامرة بالعلم والتربية وذكر الموت؛ ومن ثم تفشى ذلك في الناس، ولم يأل العلماء جهداً في نشر العلم وإحياء السنَّة، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

وحارب عُمَرُ المفاسد الموروثة عمن قبله، فقضى على العصبية المقيتة، ومنع سبّ أحدٍ من السالفين أو لعنه كائناً من كان، وحارب البدع المحدثة والآراء الضالة كبدعة القدرية والخوارج والمرجئة والمعتزلة

وأنصف أهل الذمة وردّ إليهم حقوقهم، ووضع الجزية عمن أسلم منهم.

وعمل على تدوين السنَّة، فكلف بعض العلماء بكتابة حديث الرسول ﷺ، وآثار الصحابة من بعده، فكانت أول حركة تدوين منظمة ترعاها الدولة.

وكان لهذه الإصلاحات آثار عميقة في المجتمع الإسلامي، بل في غيره من المجتمعات، حتى ليصح أن يكون عُمَرُ هو رجل الدنيا وسيدها وأعظم مصلح جاء إليها بعد الخلفاء الراشدين.

وقد كان عُمَرُ يخطط لجعل الخلافة شوريةً من بعده، أو الوصية بها إلى كفئها المستحق لها، ولذلك قال عند موته: «لو كان لي من الأمر شيءٌ ما عدوت به القاسم بن محمد، وصاحب الأعوص إسماعيل بن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عمرو بن سعيد بن العاص» (وكان عابداً منقطعاً قد اعتزل فنزل الأعوص!) فبلغ ذلك القاسم فترحم عليه ثم قال: إن القاسم ليضعف عن أهيله فكيف يقوم بأمة محمد ﷺ ؟![1].

وبمثل هذا الدور الجبار الضخم استحق عُمَرُ مجددية القرن الأول، وإن كان بعضهم يضيف إليه آخرين من التابعين كالقاسم من محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، والحسن البصري، والزهري، وغيرهم[2].

(١) طبقات ابن سعد، ٧/ ٣٤٤، دار صادر.
(٢) جامع الأصول، ١١/ ٣٢٢، وانظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس (المخطوط).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإمام الشافعي

(١٥٠-٢٠٤هـ)

لا خلاف بين من يُعتد برأيه من المسلمين أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي هو معلمة بارزة من معالم ثقافتنا الإسلامية، وإذا جاز لنا أن نباهي الثقافات والأمم الأخرىٰ بعالم نعتز به، هو نتاج خالص لديننا وحضارتنا، وهو نبت أصيل للفكر الإسلامي وللعبقرية الإسلامية في الفقه والتشريع، وفي وضوح الفكرة وسمو التعبير عنها؛ فليس ثَم إلا الإمام الشافعي.

وُلد الشافعي بغزة سنة ١٥٠هـ، وغزة ليست موطن آبائه، وإنما خرج أبوه إدريس إليها في حاجة، فمات هناك، وولد له ابنه محمد، وبعد سنتين من ميلاده حملته أمه إلىٰ موطن آبائه مكة، وبها نشأ يتيماً في حجر أمه، فحفظ القرآن صغيراً، ثم خرج إلىٰ هذيل بالبادية فحفظ كثيراً من شعرهم، ثم عاد ولزم مسلم بن خالد الزنجي، وهو شيخ الحرم ومفتيه، وقد قال له شيخه ـ والشافعي ابن خمس عشرة سنة ـ: «أفتِ يا أبا عبد الله، فقد ـ والله ـ آن لك أن تفتي».

ثم طلب الشافعيّ من شيخه أن يكتب له إلىٰ مالك بن أنس ـ إمام دار الهجرة ومحدثها ـ فكتب له، فرحل إلىٰ المدينة، حتىٰ أتىٰ مالكاً، وكان قد حفظ الموطأ، فقرأه عليه، وكان مالك يعجب بقراءته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اكتسب الشافعي خلال هذه المدة فقه مسلم بن خالد، وحديث إمامين عظيمين إليهما انتهى حديث أهل الحجاز، وهما: سفيان بن عيينة في مكة، ومالك بن أنس في المدينة.

قدم الشافعي العراق ثلاث مرات:

المرة الأولى عام ١٨٤ هـ، حيث حُمل - بأمر الرشيد - إلى العراق بتهمة التشيُّع، وفي هذه القَدْمة اختلط الشافعي بفقهاء العراق، واطلع على طرائقهم، والتقى محمد بن الحسن الشيباني (صاحب أبي حنيفة - رحمه الله -)، وله مناظرات معه، اطلع الرشيد على بعضها فسُر بها وأعجب بها، وأكثر هذه المناظرات موجود في كتب الشافعي.

ثم عاد إلى الحجاز، وبقي بمكة مدة، ثم عنَّ له أن يقدم العراق ثانية، وكان ذلك عام ١٩٥هـ، بعد أن مات الرشيد، وفي هذه المرة كان صيته قد ذاع وانتشر، ولُقِّب بـ«ناصر السنَّة»، وعظمت منزلته حتى انضم إليه جماعة من العلماء، وصاروا يأخذون عنه، وتركوا ما كانوا عليه من طرائق سابقة، وهناك أملى عليهم كتبه التي كتبها في مذهبه القديم، وأقام سنتين، ثم عاد إلى الحجاز.

وفي عام ١٩٨هـ قدم العراق للمرة الثالثة، ولم يلبث إلا أشهراً ومن هناك سافر إلى مصر، فدخلها سنة ١٩٩هـ، «فأقام بها إلى أن مات، يعلم الناس السنَّة، وفقه السنَّة والكتاب، ويناظر مخالفيه ويحاجهم، وأكثرهم من أتباع شيخه مالك بن أنس، وكانوا متعصبين لمذهبه،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فبهرهم الشافعي بعلمه وهديه وعقله، رأوا رجلاً لم تر الأعين مثله، فلزموا مجلسه، يفيدون منه علم الكتاب، وعلم الحديث، ويأخذون عنه اللغة والأنساب والشعر، ويفيدهم في بعض وقته في الطب، ثم يتعلمون منه أدب الجدل والمناظرة، ويؤلف الكتب بخطه، فيقرؤون عليه ما ينسخونه منها، أو يملي عليهم بعضها إملاءً، فرجع أكثرهم عما كانوا يتعصبون له، وتعلموا منه الاجتهاد ونبذ التقليد، فملأ الشافعي طباق الأرض علماً»[١].

وخطوات حياة الشافعي، وتفصيلات سيرته ودقائقها قيدها العلماء الذين أفردوا مؤلفات في سيرته ومناقبه ـ رحمه الله ـ ومن أشهرهم:

البيهقي، والفخر الرازي، وابن حجر العسقلاني. ومن أفضل من ترجم له ـ ترجمة مختصرة وافية كافية بعيدة عن الفضول ـ النووي في كتابه: (تهذيب الأسماء واللغات).

على أن الذي يعنينا الآن هو أثر الشافعي في التشريع الإسلامي، والإضافة التي أضافها، فعُدَّ ـ بحق ـ مجدد المائة الثانية، وخير ما يمثل الأساس الذي بنى عليه الشافعيّ فقهه هو رسالته الأصولية التي تعدُّ أول مؤلف في أصول الفقه، وعُدَّ الإمام الشافعيّ بسببها الواضع الأول لهذا العلم.

قال تلميذه المزني في الرسالة: «قرأت الرسالة خمسمائة مرة، ما من

(١) مقدمة تحقيق الرسالة، للشيخ أحمد محمد شاكر، ص٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة».

وقال أيضاً: «أنا أنظر في الرسالة من خمسين سنة، ما أعلم أني نظرت فيها مرة إلا استفدت منها شيئاً لم أكن عرفته».

سبب كلام الشافعي في أصول الفقه:

بيّن ذلك العلامة شاه ولي الله الدهلوي ـ رحمه الله ـ في رسالته: (الإنصاف في بيان سبب الاختلاف) ـ فقال: «إن الأوائل كان يجتمع عند كل واحد منهم أحاديث بلده وآثاره، ولا تجتمع أحاديث البلاد، فإذا تعارضت عليه الأدلة في أحاديث بلده حكم في ذلك التعارض بنوع من الفراسة بحسب ما تيسر له. ثم اجتمعت في عصر الشافعي أحاديث البلاد جميعها فوقع التعارض في أحاديث البلاد ومختارات فقهائها مرتين:

ـ مرة فيما بين أحاديث بلد وآخر.

ـ ومرة في أحاديث بلد واحد فيما بينها.

واقتصر كل رجل بشيخه فيما رأىٰ من الفراسة، فاتسع الخرق، وكثر الشغب، وهجم علىٰ الناس ـ من كل جانب ـ من الاختلافات ما لم يكن بحساب، فبقوا متحيرين مدهوشين، لا يستطيعون سبيلاً، حتىٰ جاء تأييد من ربهم، فألهم الشافعي قواعد جمع هذه المختلفات، وفتح لمن بعده باباً، وأي باب»[1] ا. هـ.

(١) الإنصاف في بيان سبب الاختلاف، للعلامة شاه ولي الله الدهلوي، ص ٥٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهكذا كتب الشافعي «رسالته» التي تُعَدُّ من أعظم الآثار الإسلامية، ولو لم يكن للشافعي إلا هذا الأثر لكفاه لكي يوضع في سجل الخالدين، ويكفي دليلاً على ذلك اهتمام العلماء بكتابه: (الرسالة)، وحرصهم على اقتنائه ودراسته قديماً وحديثاً.

أسس فقه الشافعي:

الشافعي يحتجُّ بظواهر القرآن حتى يقوم دليل على أن المراد بها غير ظاهرها، ثم السنَّة، وقد دافع دفاعاً شديداً عن العمل بخبر الآحاد، ما دام راويه ثقة ضابطاً، وما دام متصلاً برسول الله ﷺ، وقد نال بنصره السنَّة المكانة العظيمة عند أهل الحديث حتى أطلقوا عليه لقب: «ناصر السنَّة»، وهو يرى أن السنَّة الصحيحة كالقرآن في وجوب اتباعها، وعبارته في ذلك مشهورة: «وأن من قَبِلَ عن رسول الله ﷺ فعن الله قَبِل».

ويقول بالإجماع، ومعناه عنده عدم العلم بوجود خلاف، فإذا لم يكن هناك دليل منصوص عمد إلى القياس.

وقد أبطل الاستحسان، وردّ على من قال به بشدة، وما أحسن قولة الشيخ أحمد محمد شاكر ـ في مقدمة تحقيق الرسالة ـ: «إن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء الإسلام، في فقه الكتاب والسنَّة، ونفوذ النظر فيهما، ودقة الاستنباط، مع قوة العارضة، ونور البصيرة، والإبداع في إقامة الحجة، وإفحام مُناظره، فصيح اللسان، ناصع البيان، في الذروة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العليا من البلاغة، تأدب بأدب البادية، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر، حتى سما عن كل عالم قبله وبعده. نبغ في الحجاز، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنَّة، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، ولم يكن الكثير منهم أهل لَسَنٍ وجدل، وكانوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي، فجاء هذا الشاب يناظر وينافح، ويعرف كيف يقوم بحجته، وكيف يُلزم أهل الرأي وجوب اتباع السنَّة، وكيف يثبت لهم الحجة في خبر الواحد، وكيف يفصّل للناس طرق فهم الكتاب على ما عرف من بيان العرب وفصاحتهم، وكيف يدلهم على الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنَّة، وعلى الجمع بين ما ظاهره التعارض فيهما، أو في أحدهما، حتى سمَّاه أهل مكة: «ناصر الحديث»، وتواترت أخباره إلى علماء الإسلام في عصره، فكانوا يفدون إلى مكة للحج، يناظرونه ويأخذون عنه في حياة شيوخه»[1].

ومن الأمور التي يمتاز بها الشافعيّ عن غيره من العلماء أنه هو الذي أصّل أصول مذهبه، وكتب الكتب التي تعد متناً لفقهه.

«وأما مذهب الشافعي فأكثر المذاهب مجتهداً مطلقاً، ومجتهداً في المذهب، وأكثر المذاهب أصولياً ومتكلماً، وأوفرها مفسراً للقرآن وشارحاً للحديث، وأشدها إسناداً ورواية، وأقواها ضبطاً لنصوص الإمام، وأشدها تميزاً بين أقوال الإمام ووجوه الأصحاب، وأكثرها اعتناءً

(١) الرسالة، للشافعي، مقدمة تحقيق أحمد محمد شاكر، ص ٥٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بترجيح بعض الأقوال والوجوه على بعض، وكل ذلك لا يخفى على من مارس المذاهب واشتغل بها»[١].

وقد غلب في عرف العلماء المتقدمين والفقهاء الخراسانيين على متبعي مذهبه لقب: «أصحاب الحديث» في القديم والحديث، كما قال النووي، لكنه اعترف ـ أعني النووي ـ بأن أكثر متأخري الشافعية لم يلتزموا طريق الشافعي في التزامه بالأحاديث الصحيحة، وتركه الضعيفة والواهية[٢].

تجديد الشافعي:

إن المأثرة الكبرى للشافعي: هي رد الناس إلى السنَّة، بعد أن اختلط الأمر على كثير من العلماء، وتمايزوا إلى طبقتين متنافرتين متباعدتين، على ما في كل منهما من الحاجة إلى الأخرى، وهم أصحاب الحديث، وأهل الفقه والنظر.

والمأثرة الثانية: التزامه بالدليل، ودورانه معه حيث دار، ونبذه للتقليد، فقد قال لأحمد بن حنبل: «أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب إليه؛ كوفياً، أو بصرياً، أو شامياً»[٣]. وقال أيضاً: «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

(١) رسالة: «الإنصاف»، للدهلوي، ص ٨٥.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٥١.
(٣) حجة الله البالغة، ١/ ١٤٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقال أيضاً: «إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث، واضربوا بكلامي الحائط».

وقال تلميذه المزني: «اختصرت هذا من علم الشافعي، ومن معنىٰ قوله؛ لأقربه علىٰ من أراد، مع إعلامه نهيه عن تقليده، وتقليد غيره، لينظر فيه لدينه، ويحتاط لنفسه»(١).

وقد كانت آراء الشافعي وفقهه تطبيقاً عملياً لهذه الميزة، قال ابن تيمية «. . ثم إن الشافعي ـ رضي الله عنه ـ لما كان مجتهداً في العلم، ورأىٰ من الأحاديث الصحيحة وغيرها من الأدلة ما يجب عليه اتباعه ـ وإن خالف قول أصحاب المدنيين ـ قام بما رآه واجباً عليه، وصنف الإملاء علىٰ مسائل ابن القاسم، وأظهر خلاف مالك فيما خالفه فيه، وقد أحسن الشافعي فيما فعل، وقام بما يجب عليه، وإن قد كره ذلك من كرهه وآذوه، وجرت محنة مصرية معروفة»(٢).

الميزة الثالثة: أنه لما رأىٰ أن أصول الآراء ليست مضبوطة عند الفقهاء قبله، وكان يتطرق إليها الخلل بسبب ذلك؛ وضع أصول الفقه، ودوّن: «الرسالة».

الميزة الرابعة: تفريقه بين الرأي والقياس: فقد «رأىٰ قوماً من

(١) مختصر المزني علىٰ هامش الأم، ١/ ٢.
(٢) الفتاوىٰ، ٢٠/ ٣٣٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفقهاء يخلطون الرأي الذي لم يسوّغه الشرع، بالقياس الذي أثبته، فلا يميزون واحداً منها من الآخر، ويسمونه تارة بالاستحسان ـ وأعني بالرأي أن ينصب مظنة حرج أو مصلحة علة لحكم، وإنما القياس أن تخرج العلة من الحكم المنصوص ويدار عليها الحكم ـ فأبطل هذا النوع أتم إبطال وقال: «من استحسن فإنه أراد أن يكون شارعاً. . .

وبالجملة، فلما رأى الشافعيّ في صنيع الأوائل مثل هذه الأمور أخذ الفقه من الرأس فأسّس الأصول، وفرع الفروع، وصنف الكتب، وأفاد وأجاد، واجتمع عليها الفقهاء، وتصرفوا اختصاراً وشرحاً واستدلالاً وتخريجاً، ثم تفرقوا في البلدان»[١].

الميزة الخامسة: أن الشافعي لم يحصر نفسه في دائرة علم الحديث وحده، أو الفقه وحده، بل كان محدثاً فقيهاً وفقيهاً محدثاً، بل تعداهما إلى أن يكون حجة في غيرهما، كاللغة، والشعر، والأنساب؛ قال الإمام أحمد بن حنبل: «الشافعيّ فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف الناس، والمعاني، والفقه»[٢].

وهذا ما أكسبه سعة الأفق، وعمق البحث، وقوة العارضة. والذي نحب أن نشير إليه هنا هو عدم اكتفائه بفصاحته الموروثة، فهو «عربي الأصل، عربي اللسان»، بل نراه «أقام على العربية وأيام الناس عشرين

(١) حجة الله البالغة، للدهلوي، ١/ ١٤٧.
(٢) مناقب الشافعي، للبيهقي، ٢/ ٤٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سنة، وقال: ما أردت بهذا إلا الاستعانة على الفقه»[١].

وفصاحة الشافعي في مناظراته وكتبه مما لا تحتاج إلى إقامة الدليل عليها، ولكننا نشير إلى هذه الميزة وننوه بها؛ لما نراه من تقصير - من الدعاة وطلبة العلم وورثته في هذا العصر - في تعلم العربية، وزهدهم فيها، وعدم إحلالها المحل الذي تستحق من اهتماماتهم، بل وإشاحتهم عن التزود بما لا يحسن جهله منها خلاف ما كان عليه شأن علمائنا السابقين الذين كانوا يرون تعلم لغة القرآن ديناً، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فحينما نقرأ قول الشافعي: «أروي لثلاثمائة شاعر مجنون»، وأنه أخذ عنه كبار علماء العربية شعر هذيل؛ لا نطالب حَمَلَة الدعوة الإسلامية اليوم بما يشبه ذلك، ولا بعُشر معشاره، ولكن نطالبهم أن يحبوا لغة قرآنهم، ولغة نبيهم ﷺ، وحاوية ثقافتهم، وعنوان هويتهم. وأن يبتعدوا عن كل ما من شأنه تنقص هذه اللغة، وأن ينبذوا الأفكار الشعوبية التي أطلت برأسها من جديد، مسلحة بإعلام قوي تنفق عليه مئات الملايين، فألقت بظلالها على فكر كثير من المسلمين الذين أصبحوا ينشدون الإسلام من المصادر الأعجمية، غير مبالين بما لذلك من مردود مرذول، سيعلمون نبأه بعد حين.

بعض أقوال العلماء في الإمام الشافعي:

إن أقوال العلماء في بيان فضل الشافعي، وشهاداتهم له تعز عن

(١) مناقب الشافعي، ٢/ ٤٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحصر، وقد اخترنا بعضها إشارة بالجزء على الكل، واكتفاءً بالقليل عن الكثير.

قال الزعفراني: «كان أصحاب الحديث رقوداً، فأيقظهم الشافعي فتيقظوا».

وقال الإمام أحمد: «ما أحد مس بيده محبرة ولا قلماً إلا وللشافعي في رقبته منّة».

وبعث إليه أبو يوسف (صاحب أبي حنيفة) يقرئه السلام ويقول: «صَنِّف الكتب؛ فإنك أولى من يصنف في هذا الزمان».

وقال أبو حسان الرازي: «ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي ـ رحمه الله ـ».

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم: «ما رأيت أحداً أعقل ولا أورع ولا أفصح ولا أنبل رأياً من الشافعي».

وقال الكرابيسي: «ما رأيت مجلساً قط أنبل من مجلس الشافعي، كان يحضره أهل الحديث، وأهل الفقه، وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر، فكلٌّ يتكلم فيه ـ رضي الله عنه ـ».

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أحمد بن حنبل
ناصر السنَّة (١٦١ ـ ٢٤١هـ)

كان آخر القرن الثاني وأول القرن الثالث من عصور الاضطراب الفكري التي تركت آثاراً ضخمة في الحياة الإسلامية.

فقد كان لنشوء البدع ـ المتقدم على هذه المرحلة ـ ثم ترجمة الكتب الفلسفية واشتغال المسلمين بها، وحث الخلفاء الناس على تعريبها، حيث وجد أهل البدع فيها سنداً لهم، فأصّلوا مذاهبهم على ضوئها، وتوسعوا بشكل سافر في إدخال النظريات الفلسفية إلى صميم العقيدة الإسلامية، أن صار ذلك العصر هو عصر النضج واكتمال بناء المذهب بالنسبة للمعتزلة، وفيه برز عدد كبير من فلاسفتهم ومنظري مذهبهم كأبي الهذيل العلاّف ـ شيخ المأمون وأستاذه ـ، وإبراهيم بن سيّار النظام، ومعمر بن عباد السلمي، وبشر بن المعتمر.. وغيرهم.

وقد علا شأن الرافضة ـ لما بينهم وبين المعتزلة من الأواصر العقدية ـ وبدؤوا يجهرون بآرائهم في الإمامة والولاية والرجعة وغيرها.

وفي وسط هذا المناخ المضطرب نشأت كثير من الحركات السرية الإلحادية التي عرفت بحركات الزنادقة، وكان يقف خلفها الباطنيون المتربصون بالإسلام.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبالجملة فلقد كان ذلك العصر هو الذي وصفه الرسول ﷺ بقوله في الحديث: «ثم ينشد الكذب»[١].

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في وصف ذلك العصر: (وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتُحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقصٍ إلى الآن، وظهر قوله ﷺ: «ثم ينشد الكذب» ظهوراً بيناً، حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات والله المستعان)[٢].

وكان الخلفاء أنفسهم ـ ولأول مرة في الإسلام ـ يعتقدون البدع ويعلنونها فكان المأمون موافقاً للمعتزلة في معظم عقائدهم، وكان إلى ذلك مرجئاً، وجاء من بعده المعتصم، فالواثق، فكانا على نهجه.

وقد عمل المأمون بعد ولايته على نصر مذهب المعتزلة، فقرب رؤوسه كأحمد بن أبي دؤاد، وعقد مجال المناظرة بين المعتزلة وخصومهم من أهل السنَّة، فلما لم تُجْد شيئاً بدأ بالتضييق على الناس وإلزامهم بالقول بخلق القرآن ونفي الرؤية، حتى أصبح القول بذلك شرطاً عنده لتولي المناصب بما فيها القضاء!

وحين كان بـ(الرقة) استطاع وزراؤه المعتزلة أن يقنعوه بحمل الناس

(١) سبق تخريج الحديث من حيث أصله، وهذه الرواية عند ابن ماجه.
(٢) فتح الباري، ٧/ ٦.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على المذهب بالقوة، فكتب إلى واليه على بغداد بجمع العلماء وامتحانهم في مسألة خلق القرآن، وحَمْل من يرفض هذه العقيدة مقيداً مصفداً إلى المأمون.

فأجاب العلماء أجوبة تتراوح بين التقية وحسن التخلص إلا أربعة أصرُّوا على عقيدة أهل السنَّة والمجاهرة بها، وهم: القواريري، وسجادة، ومحمد بن نوح، والإمام أحمد.

ثم أجاب الأوّلان تحت ضغط التعذيب والإرهاب، وحُمل الآخران إلى المأمون مكبَّلين بالقيود، فتوفي محمد بن نوح في الطريق، وبقي الإمام أحمد وحده، ثم مات المأمون، فرُدَّ أحمد إلى بغداد.

وأخذت الفتنة مدى أوسع في عهد المعتصم، حيث سجن الإمام أحمد مقيداً نحواً من ثلاثين شهراً، وكان يصلي وينام والقيد في رجله، وفي كل يوم كان يُنفذ إليه المعتصم من يناظره ويهدده - إن لم يجب - بأشد مما هو عليه، ثم يزاد في قيوده، وقد جهد المعتصم في التأثير على موقف الإمام بالملاينة والعطف وإظهار الفضل، والترغيب والوعد.. فكانت كلمة الإمام واحدة لا تتغير. حتى إذا استفرغوا وسعهم أضمروا الشدة والقسوة، وشعر الإمام بذلك فكان يشد عليه سراويله وينتظر الضرب، فيأتي المعتصم يناظره ويناظرونه، حتى يثور غضبه فيشتم الإمام ويأمر بسحبه وتخليعه، وظلوا على هذه الحال يأتي الجلادون بالسياط الغليظة فيردها المعتصم ليطلب أغلظ منها، ويأخذ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الجلادون دورهم فيضربه كل واحد منهم سوطين، والمعتصم يحرضهم وهو واقف على رؤوسهم حتى أغمي على الإمام أحمد، فلما أفاق جاؤوا إليه بسويق، فقال: لا أفطر! وصلى ـ رحمه الله ـ والدماء تسيل في ثوبه.

قال الإمام أحمد: ذهب عقلي مراراً، فكان إذا رفع عني الضرب رجعت إليَّ نفسي، وإن استرخيت وسقطت رفع عني الضرب.

وقال أحد الجلادين: لقد ضربت أحمد ثمانين سوطاً لو ضربتها فيلاً لهدَّته.

وكان الإمام أحمد ينتظر الشهادة في سبيل الله، فحين نخسه أحد الحراس بسيفه فرح وقال: جاء الفرج، يضرب عنقي وأستريح. فقال ابن سماعة[1]: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه ودمه في رقبتي، فقال ابن أبي دؤاد: لا يا أمير المؤمنين، إن قتل أو مات في دارك قال الناس: صبر حتى قتل، فاتخذوه إماماً، وثبتوا على ما هم عليه، ولكن أطلقه الساعة فإن مات خارجاً عن منزلك شكّ الناس في أمره.

فأُخرج الإمام أحمد وفي كل موضع منه جراحة حتى إن أحداً لمَّا هم بمساعدته على النزول من الدّابة وقعت يده على بعض تلك الجراحة وهو لا يشعر فصاح الإمام أحمد فنحَّى يده عنه. وجاءه

(١) ابن سماعة هذا كان صلى مرة بالإمام أحمد في السجن والدم يسيل من جسده! فقال له: صليت والدم يسيل في ثوبك! فقال أحمد: قد صلى عمر وجرحه يثعب دماً!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الطبيب فكان يدخل الميل في بعض الجراحات، وكان يأتي بالحديدة فيعلق بها بعض لحمه ليقطعه بالسكين وأحمد صابر يحمد الله.

ولما مات المعتصم وولي الواثق فرض الإقامة الجبرية على الإمام أحمد، فلا يخرج حتى للصلاة، ولا يجتمع إليه أحد، حتى هلك الواثق، ثم جاء بعده المتوكل، فرفع المحنة، ونصر السنَّة، وقرّب أهلها.

لقد كان انتصار الإمام في تلك المحنة الرهيبة القاسية انتصاراً للتيار الأثري الملتزم بما كان عليه سلف هذه الأمة في جميع نواحي الاعتقاد، وليس في مسألة القرآن فحسب، فثبت الناس على ما هم عليه بفضل الله، ثم بفضل وجود القيادة التي تتحطم عندها أمواج البدعة، وهذا كان رد الإمام أحمد على المروزي حين طلب منه التقية فقال له: اخرج فانظر! قال: فخرجت فرأيت خلقاً لا يحصيهم إلا الله تعالى، والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر، فقال لهم: أي شيءٍ تعملون؟ قالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه!

يقول الشيخ أحمد شاكر تعليقاً على موقف الإمام أحمد: (أما أولو العزم من الأئمة الهداة، فإنهم يأخذون بالعزيمة، ويحتملون الأذى ويثبتون، وفي سبيل الله ما يلقون، ولو أنهم أخذوا بالتقية، واستساغوا الرخصة لضل الناس من ورائهم؛ يقتدون بهم ولا يعلمون أن هذه تقية، وقد أُتي المسلمون من ضعف علمائهم في مواقف الحق.. لا يجاملون الملوك والحكام فقط! بل يجاملون كل من طلبوا منه نفعاً أو خافوا ضرّاً

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في الحقير والجليل من أمر الدنيا . . ، ولقد قال رجل من أئمة هذا العصر المهتدين : «كأن المسلمين لم يبلغهم من هداية كتابهم فيما يغشاهم من ظلمات الحوادث غير قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾ [**آل عمران** : ٢٨] ، ثم أصيبوا بجنون التأويل فيما سوىٰ ذلك»[١] .

لقد صار الإمام أحمد عَلَماً شامخاً يقتدىٰ به ويقتفىٰ أثره، وارتبط به مذهب أهل السنَّة أيما ارتباط حتىٰ إنه ليقال : «عقيدة الإمام أبي عبد الله»، ولا شك أن جماهير العلماء والأئمة في زمنه كانوا علىٰ العقيدة نفسها، ولكنها عرفت به لما بذل في سبيلها وتحمّل من أجل إقرارها . قال بعض العلماء عشية دفن أحمد : «دفنا اليوم سادس خمسة : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل»[٢] .

وقيل لآخر : «لو تكلمت يوم ضُرب أحمد؟! قال : أتأمروني أن أقوم مقام الأنبياء!!»[٣] . وقال إسحاق بن راهويه : « لولا أحمد وبذل نفسه لما بذلها له لذهب الإسلام»[٤] . وقال الحارث بن عباس : «قلت لأبي مسهر : هل تعرف أحداً يحفظ علىٰ هذه الأمة أمر دينها؟ قال :

(١) مقدمة المسند، ١/ ٩٨ (هامش) .
(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٩/ ١٦٦، دار الكتاب العربي .
(٣) الحلية، ٩/ ١٧٠ .
(٤) المرجع السابق، ص ١٧١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لا أعلمه إلا شابٌ في ناحية المشرق، يعني أحمد بن حنبل»[١]. وقال علي بن المديني: «إن الله أعز هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة». وقال أبو حاتم: «إذا رأيت الرجل يحبُ أحمد فاعلم أنه صاحب سنَّة»[٢].

ولقد مر زمان والإمام أحمد أعزل من كل شيء، وحيد فريد، لا يجلس إليه أحد، ولا يعضده في موقفه أحد.. وكان لأعدائه الجاه والسلطان والدولة، فكان يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز!.. فلم تمض أويقات قليلة حتى علا شأنه ـ رحمه الله ـ وذاع صيته، وانتشر مذهبه، وعظم قدره، حتى تضايق هو من ذلك، وتمنى الموت لكراهيته للشهرة وحبِّه للخمول. أما في الموت فإن أقل ما حرزت به جنازته سبعمائة ألف إنسان.

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (وقد صدَّق الله قول أحمد في هذا؛ فإنه كان إمام السنَّة في زمانه، وعيون مخالفيه، أحمد بن أبي دؤاد وهو قاض من قضاة الدنيا لم يحتفل أحدٌ بموته، ولم يلتفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان، وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطواته وحركاته لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس، وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً، فلله الأمر من قبل ومن بعد)[٣].

(١) ترجمة الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام (مقدمة المسند)، ١/ ٦٥.
(٢) تقدمة الجرح والتعديل، ١/ ٣٠٨، دار الكتب العلمية.
(٣) البداية والنهاية، ١٠/ ٣٨٧، طبعة مكتبة الأصمعي بالرياض.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولم يكن هذا هو الجانب الوحيد الذي قاد فيه الإمام أحمد معسكر أهل السنَّة فخرج ظافراً منصوراً، بل إن ثمة جوانب أخرىٰ كثيرة نشير إشارة سريعة إلىٰ واحدٍ منها ألا وهو وقوفه ـ رحمه الله ـ في وجه طغيان المادة، وسريان روح الترف القاتل في أوساط المسلمين.

فقد كان في نفسه ـ رحمه الله ـ مثلاً أعلىٰ في الزهد والورع والتعفف والإعراض عن زخارف الدنيا ومباهجها، ولقد رفض أموال السلاطين، ولم يقبل عطايا المتوكل، كما فرض علىٰ بنيه وقرابته عدم أخذ شيءٍ من ذلك، فكان المتوكل يصلهم سراً! وله في الزهد والورع حكايات عجيبة عجيبة، ولا ندري ـ والله ـ ما نأخذ منها وما ندع، فليراجعها من شاء في مظانّها؛ فهي مما يحرك في النفس عزيمة الاقتداء. ولقد صنف ـ رحمه الله ـ في ذلك كتابي: (الزهد) و (الورع).

وإن كنّا من وراء هذه المفاوز البعيدة نقرأ سيرته فنتطلع إلىٰ الاقتداء والاتباع والاهتداء؛ فما ظنك بالناس في عصره وهم يرون بأعينهم ـ علىٰ الدوام ـ ما نسمعه نحن سماعاً، فلا يكاد يستقر في الأفهام؛ بل ما ظنك بتلاميذه وأقرانه وأبنائه وجيرانه.. أيّ روح يشيعه وجود مثل هذا الصديق بينهم؟[1].

(١) انظر ترجمة الإمام أحمد في: تقدمة الجرح والتعديل، ١/ ٢٩٢ ـ ٣١٤، وحلية الأولياء، ٩/ ١٦١ ـ ٢٣٤، ومقدمة المسند، ١/ ٥٨ ـ ١٣٣، وفي آخره ذكر مصادر أخرىٰ للترجمة، وهي مهمة فلتراجع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التجديد الجماعي

صحـــوة الجـهـاد:

كانت النتيجة التي خلص إليها الأخ الباحث الذي كتب الحلقات الأولىٰ من هذا الموضوع: أن التجديد بعد عمر بن عبد العزيز هو في الغالب تجديد جماعي، فالذي يقوم به ليس رجلاً واحداً بل أكثر من واحد في كل عصر، ونقل ترجيح الإمام ابن حجر لذلك، وهو ما رجحه الذهبي أيضاً وابن الأثير، كما نقل كلام ابن الأثير بأن التجديد لا يلزم أن يكون من جانب الفقهاء خاصة، بل إن الأُمة تنتفع أيضاً بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقرّاء. . .

وهذا الرأي هو الصواب ـ إن شاء الله ـ وخاصة في العصور المتأخرة التي يصعب أن يقوم رجل واحد بأمر التجديد فيها، والعجيب أن الذين تكلموا في التجديد لم يذكروا الولاة بعد عمر بن عبد العزيز، بل اقتصروا علىٰ العلماء، بل اقتصر بعضهم علىٰ علماء مذهبه، وإذا كان التجديد جماعياً فما المانع أن يقوم ولاة بالتجديد في ناحية ويقوم علماء بالتجديد في ناحية أخرىٰ، فقد يكون تجديد الولاة ببعث روح الجهاد في الأمة وإعادتها إلىٰ عز بعد ذل، وهيبة وكرامة بعد إهانة، مع أن الجهاد لا بد أن يستتبع العلم ودراسة سيرة السلف من الصحابة والعلماء والمجاهدين، فتعود للأمة روحها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ما قبل الإفاقة:

ومن الأمثلة البارزة على التجديد الذي يكون ببعث روح الجهاد في الأمة وإعادة الثقة إلى نفسها: ما قام به الملك الصالح المجاهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، وما قام به بعده الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي في أواخر القرن السادس الهجري.

وحتى نعلم قيمة ما أتى به هذان الرجلان لا بأس من أن نطل إطلالة على العصر السابق لهما.

في أواخر القرن الخامس الهجري كان قد انتهى دور السلاجقة الكبار الذين كان لهم دور كبير في إعادة القوة للمسلمين، ومعركة (ملاذ كرد) التي انتصر فيها (ألب أرسلان) على الروم انتصاراً ساحقاً جعلت الروم يفكرون طويلاً قبل محاولة الاستيلاء على أي بلد من بلاد المسلمين. وجاء بعد هؤلاء أولادهم وأحفادهم وتمزقت الدولة شرّ ممزق، وتحولت كل مدينة بل كل حصن أو قلعة إلى دولة، وكلٌ يحاول امتلاك أكبر عدد ممكن من الحصون، ويستنجدون بالبعيد والقريب والعدو والصديق لحماية أنفسهم وزيادة ملكهم، فلا حصلوا دنيا ولا أقاموا ديناً، وجاءت الحملات الصليبية إلى بلاد الشام، ولكنها لم تحرك فيهم ساكناً، بل استنجد ملك دمشق بالصليبيين خوفاً من عماد الدين زنكي، وكذلك فعل (شاور) وزير العبيديين في مصر، طلب الحماية من الصليبيين خوفاً من نور الدين محمود، وأما الخلافة العباسية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في بغداد فقد كانت من الضعف بمكان، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً في هذا السبيل.

هذه هي الحال المؤسفة التي آلت إليها بلاد المسلمين في مطلع القرن السادس، وهي حال تمر بها الشعوب أحياناً، فتصبح أسيرة الذل والأوهام، والنظر القاصر، والأنانية المفرطة التي تؤدي إلى التكالب على الدنيا دون النظر إلى العواقب.

بعد هذا التفرق وهذا الضعف جاء نور الدين محمود ومن بعده صلاح الدين، فأعادا الثقة إلى الأمة بجهادهما وإخلاصهما.

التجديد الجهادي عند نور الدين محمود (٥١١ ـ ٥٦٩ هـ):

إن العلامة البارزة في شخصية هذين الملِكَيْن هي الجهاد، وإن كانت لهما مميزات أخرى من حب العلم وإقامة العدل وفتح المدارس، ومن صفات شخصية مثل: التواضع والحلم والشجاعة، ولكن إثارة الجهاد في حياة الأمة الذي أصبح همهما وديدنهما هو موضع التجديد.

قال المؤرخ أبو شامة عن نور الدين: «وكان يقول: طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها. فقال له قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي: بالله لا تخاطر بنفسك وبالإسلام والمسلمين فإنك عمادهم، فقال: يا قطب الدين، ومَن محمود حتى يقال له هذا؟»[1]. ومن حبه للجهاد

(١) الروضتين في أخبار الدولتين، ١/ ٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أنه طلب من أمراء الجزيرة النجدة للوقوف في وجه الفرنجة، فأجابه البعض وتلكأ أحدهم ثم عزم، وعندما سئل عن السبب قال: «لقد كاتب نور الدين الصلحاء والعلماء في الدعاء له ودعوة الناس للجهاد، فإن لم أساعده أخذ ملكي مني»[١].

وقد عاتب نورُ الدين السلطانَ السلجوقي (قلج أرسلان) الذي كانت بلاده مجاورة للروم، فقال: «أنت مجاور للروم ولا تغزوهم! وبلادك قطعة كبيرة من بلاد المسلمين، ولا بد من الغزاة معي»[٢]. وأما تفاصيل غزواته وجهاده للصليبيين وانتصاره عليهم في أكثر المعارك، واستعادة كثير من البلدان والحصون منهم، فهو مثبت في كتب التاريخ لمن أراد الرجوع لذلك، وكان ـ رحمه الله ـ يقدّرُ في نفسه أن يفتح القدس، وقد طلب تهيئة المنبر لليوم الذي يستعاد فيه المسجد الأقصى، ولكن فاته الأجل وقدَّر الله ذلك للسلطان صلاح الدين. وأما أعماله الأخرى العظيمة: فهو الذي أمر صلاح الدين بإنهاء الدولة العبيدية في مصر وقطع الخطبة للعاضد، وأن يخطب للخلافة العباسية، وألحَّ عليه في ذلك حتى استجاب له[٣].

«وهو الذي جدّد للملوك اتباع سنَّة العدل والإنصاف وترك المحرمات؛ فإنهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية، همة أحدهم بطنه وفرجه،

(١) ابن الأثير: الكامل، ١١/ ٣٠٢.
(٢) المصدر السابق، ١١/ ٣٩٢.
(٣) المصدر السابق، ١١/ ٣٦٩.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حتىٰ جاء الله بدولته فوقف مع أوامر الشرع، وبنىٰ داراً للعدل، وخاف الأمراء من إحضارهم لهذه الدار فأنصفوا من أنفسهم، وأنصفوا الناس خوفاً من أن يعلم بهم نور الدين»[١].

وإذا كان صلاح الدين هو الذي أكمل هذا الاتجاه وقام به علىٰ أكمل وجه، فإن الذي بنىٰ هذا ومهّد له، وولّىٰ أمثال صلاح الدين علىٰ مصر وغيرها، هو نور الدين محمود ـ رحمه الله ـ.

التجديد الجهادي عند صلاح الدين (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ):

كان أول عمل عظيم قام به هذا السلطان هو إنهاء الدولة العبيدية بمصر، وعزل قضاتهم، وقد حوَّل سجونهم إلىٰ مدارس لطلبة العلم. وبعد وفاة السلطان نور الدين محمود لم يخلفه رجل قوي، مع أن المرحلة حرجة وتحتاج إلىٰ مثل هذا الرجل لمواجهة الصليبيين، فتصدىٰ صلاح الدين لهذه المسؤولية، وكانت الخطوة الرئيسة هي توحيد بلاد الشام ومصر وضم أكبر عدد ممكن من الأقاليم إلىٰ هذه الوحدة، فضمت اليمن والحجاز وبعض أقاليم الجزيرة كي يتسنىٰ حشد الطاقات لمقارعة الفرنجة، وجاءت نتائج هذه الوحدة سريعة ـ مع النيات الصادقة ـ فانتصر المسلمون في (حطين) انتصاراً ساحقاً. وكان الهم الأكبر لدىٰ السلطان هو تخليص المسجد الأقصىٰ من الكفرة، ففتح كل المدن الداخلية في فلسطين، وتم بعد ذلك فتح القدس بعد أن بقيت أسيرة ما يقارب تسعين

(١) الروضتين، ١/ ٧ ـ ٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سنة. وبعد هذه الانتصارات استولى حب الجهاد على قلبه، فأصبح شغله الشاغل وهمه القائم القاعد، فلا حديث له إلا الجهاد، وفنون الحرب، وكيفية استصلاح القلاع، وصناعة أدوات القتال، وألَّف العلماء في الجهاد وأصبح هو حديث الساعة.

وصف المؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الملقب بأبي شامة، وصف صلاح الدين فقال: «كان ـ رحمه الله ـ شديد المواظبة على الجهاد، عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد وفي الإرفاد لصَدَقَ وبرَّ في يمينه، ولقد هجرَ في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسائر ملاذه، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة»(١).

وقال عنه القاضي الفاضل: «وأما صبره في الجهاد، فقد رأيته بمرج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دمامل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس، ومع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب، ومن العصر إلى المغرب، وهو صابر على شدة الألم، وكان يقول: إذا ركبتُ يزول عنِّي ألمها حتى أنزل»(٢).

(١) الروضتين، ٢ / ٢٢١.
(٢) المصدر السابق، ٢ / ٢٢٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكان السلطان قد عانى الأهوال في حصار عكا الذي استمر أكثر من سنتين، ومع ذلك صابر الكفار كل هذه المدة «ويكون هو أول راكب وآخر نازل. ومرض وأشرف على التلف ثم عوفي». ويضيف الذهبي: «ولعله وجبت له الجنة برباطه هذين العامين»(١). وكان في حصار القدس يحمل الحجارة بنفسه حتى اضطر من حوله من الأمراء والوزراء إلى القيام بالعمل نفسه. بل تطلعت نفسه إلى أبعد من هذا، تطلعت إلى مهاجمة هؤلاء الصليبيين في عقر دارهم، يقول لصديقه الحميم القاضي الفاضل: «متى يسر الله ـ تعالى ـ فتح بقية الساحل، قسمت البلاد وأوصيت، وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم، أتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله، أو أموت»(٢).

بهذه النية الصالحة يسر الله استرجاع القدس، وفتح كل المدن الداخلية، ولم يبق للصليبيين سوى بعض المدن الساحلية. وبعد الحصار الدامي حول عكا، رجع إلى دمشق مستريحاً بعض الوقت، فوافاه الأجل صبيحة يوم الأربعاء من شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وبوفاته ـ رحمه الله ـ انتهت هذه المرحلة من الزَخْم الجهادي وتجميع قوى المسلمين وصهرهم في بوتقة عمل موحد، ولم يأت بعده من استطاع إكمال المهمة، رغم مدافعة أولاد أخيه العادل للصليبيين، وخاصة في مصر. ولم يتحرر بقية الساحل من الأعداء إلا في عهد المماليك.

(١) سير أعلام النبلاء، ٢٢/ ٢١٠.
(٢) الروضتين، ٢ / ٢٢٢.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

العلماء مع صلاح الدين:

إذا كان الشغف بالجهاد؛ وحمل هموم المسلمين، وتحرير أرضهم من الكفرة هي أبرز صفات صلاح الدين، فقد حُبِي بصفات أخرىٰ جعلته موضع احترام ومحبة المسلمين، بل موضع احترام أعدائه من الصليبيين، وجعلت أهل دمشق يحزنون علىٰ فراقه ما لم يحزنوا علىٰ ملك قبله.

قال كاتبه العماد الأصفهاني: «ومحافله آهلة بالفضلاء، ويؤثر سماع الحديث بالأسانيد، حليماً، مقيلاً للعثرة، نقياً تقياً، ما ردّ سائلاً، ولا خجّل قائلاً»(١).

وقد ارتحل هو وأخوته وأمراؤُه إلىٰ المحدث أبو طاهر السّلفي المقيم بالإسكندرية، وسمع منه الحديث. وقد اقترح عليه أن يسمع الحديث وهو في المعركة بين الصفَّيْن فاستجاب لذلك.

وقد هيأ الله له بطانة صالحة من العلماء ينصحونه ويستمع لهم، منهم الشيخ علي بن إبراهيم بن نجا الأنصاري الحنبلي، قال أبو شامة عنه: «كان كبير القدر معظماً عند صلاح الدين، وكان واعظاً مفسراً»(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٢٨٧.
(٢) المصدر السابق، ٢١/ ٣٩٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومنهم الحافظ القاسم بن علي بن الحسن بن عساكر، جمع كتاباً كبيراً في الجهاد، وسمعه منه كله السلطان في سنة ست وسبعين[١].

ومن العلماء المجاهدين مع السلطان: الفقيه عيسى الهكاري، قاتل يوم (الرملة) قتالاً شديداً وأُسر، ثم افتداه صلاح الدين بستين ألف دينار.

ومنهم الشيخ أبو عمر المقدسي، وهو من العلماء الصالحين المجاهدين، وكان لا يترك موقعة إلا حضرها، والشيخ عبد الله اليونيني الملقب بأسد الشام. وكان أمّاراً بالمعروف، لا يهاب الملوك، وما فاتته غزاة.

ومن العلماء الكبار الذين عاصروا صلاح الدين ثم أخاه العادل بعدئذ، ويمثلون التيار العلمي المكمل للتيار الجهادي الحافظ الكبير عبد الغني المقدسي، والعالم المجتهد الرباني ابن قدامة المقدسي صاحب كتاب: (المغني)، كما هيأ الله لهذا السلطان وزير صدق، وكاتباً بليغاً مجدداً في الكتابة، وناصحاً مشفقاً على الأمة الإسلامية، ألا وهو: عبد الرحيم بن علي البيساني الملقب بالقاضي الفاضل، قال العماد الأصفهاني: «والسلطان له مطيع، ما افتتح الأقاليم إلا بأقاليد آرائه، ومقاليد غناه وغنائه، وكانت كتابته كتائب النصر...»[٢]. وقال العماد

(١) سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٤١١.
(٢) المصدر السابق، ٢١/ ٣٤٠.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يصفه: «وكان قليل اللذات، كثير الحسنات، دائم التهجد، يشتغل بالتفسير والأدب»[١]. وقال الذهبي عنه: «وقد انتهت إليه براعة الترسل، وبلاغة الإنشاء، وله في ذلك اليد البيضاء والمعاني المبتكرة والباع الأطول»[٢].

وكان ناصحاً للسلطان، وإذا رأىٰ شيئاً من المنكرات في جيشه بيَّن له ذلك وطلب منه إزالتها، كما فعل في حصار عكا.

ومع حب صلاح الدين للعلماء وتقريبه للفضلاء، لا بد أن نذكر مأثرة أخرىٰ له وهي: زهده وعدم اشتغاله بتثمير الأموال والضياع. قال ابن شداد كاتب سيرته: «لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ودیناراً واحداً، ولم يخلف ملكاً ولا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا مزرعة»[٣].

رحم الله صلاح الدين ونور الدين، وجزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٣٤٣.
(٢) المصدر السابق، ٢١/ ٩٣٩.
(٣) الروضتين، ٢ / ٢١٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التجديد عند ابن تيمية

(٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)

ولد ابن تيمية ونشأ في عصر يموج بالاضطراب السياسي والفكري، فقد تعرض المسلمون لهجمات التتار المتوحشين الذين كانوا يزحفون زحف الموت تسبقهم شائعات الرعب والخوف، فدمروا بغداد وقتلوا خليفتها، ثم زحفوا إلى الشام حتى حاصروا دمشق، ولم يدر بخَلَد أحد أن النصر عليهم من الأمور الممكنة، فقد تغلغلت الهزيمة النفسية في أعماق المسلمين شعباً وولاة. كما سيطر الانحراف العقائدي المريع على الخاصة والعامة، فقد كاد الناس أن ينسوا مذهب السلف الصالح، وانتشرت الصوفية المبتدعة بين صفوف الجماهير، وعُرضت العقيدة الإسلامية على طريقة علماء الكلام، وجمد الفقهاء على المذاهب وأوصدوا باب الاجتهاد، وكانت العصبية المذهبية على أشدها، وفي المساجد الكبرى توضع محاريب عدة، لكل مذهب محراب.

هذه الأوضاع العقدية الفقهية كانت مستقرة سائدة لا يفكر أحد في كسر مألوفها والخروج عليها؛ لأن مصير من يخالف هذه الأوضاع معروف: يرميه العلماء عن قوس واحدة، ويحاربونه في نفسه ورزقه، ويرفعون أمره إلى السلطان على أنه خطر يهدد البلاد والعباد، وكان

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

السلاطين في غالبهم جهلة لا يميزون بين حق وباطل، وهكذا كان يُضطهد المخلصون.

نشأ ابن تيمية في هذه البيئة، ودرس عيوبها، وعرف بما آتاه الله من عقل واسع وشخصية فذة، كيف يصدع بكلمة الحق في هذا المجتمع، وكيف يرجع بالناس إلى الجادة المستقيمة، وكيف يحارب الخرافة والفلسفة، بل وكيف يقود الجماهير في عصر ضعف فيه شأن السلطة واستفحل خطر أعدائها.

بدأ الشيخ دروسه سنة ٦٨١ هـ، وانتهت إليه رياسة المذهب الحنبلي وهو في مقتبل شبابه، وكتب (الفتوى الحموية) في عقيدة السلف، وكانت أول عمل علمي ينشر فيه عقائد السلف المخالفة لمألوف الناس، فثار عليه العلماء وحاكموه وحرموه من التدريس، ولم يثنه هذا أو يفلّ من عزيمته، بل ظل يناضل في جميع الميادين بلا هوادة، ويختط لأهل السنَّة طريق الإصلاح فألّف في الرد على الرافضة، والفلاسفة، وعلماء الكلام، والصوفية، والنصارى، وغيرهم. وألّف في دراسة العيوب والمشاكل الاجتماعية وتحليلها، وألّف في الفقه ودراسة الأحكام على مذهب الإمام أحمد، ثم ألّف فيه بصفته مجتهداً لا يلتزم بمذهب.

ونستطيع أن نقول: إن ابن تيمية أحيا مدرسة الحديث والسنَّة في عصره، ورفع شأنها واستطاع أن يجتذب إليها صفوة العلماء في عصره. ويكفي أن نذكر من أساطين هذه المدرسة الذين تتلمذوا على يديه: ابن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قيم الجوزية، والإمام الذهبي، وابن كثير، والإمام المزي، والإمام محمد ابن عبد الهادي. . ثم من ساروا على النهج من بعد.

مظاهر التجديد عند ابن تيمية:

وإذا كان المقصود بالتجديد هو إرجاع الدين غضاً طرياً بعد أن تراكمت عليه البدع والانحرافات بشتى أشكالها وصورها فذهبت برونقه وبهائه، إذا كان المقصود هذا؛ فإن هذا الوصف ينطبق تماماً على شيخ الإسلام ابن تيمية، فمع وجود علماء كبار في عصره وقبل عصره يجمعون بين العلم والعمل، وربما وصلوا إلى درجة الاجتهاد، ولكن لم يقوموا بدور التجديد بشكل عام، وهو إرجاع الناس إلى السنَّة وإلى المنهج الصحيح الذي يمنعهم من الانحراف، ومحاربة كل أنواع الانحراف، بينما نجد ابن تيمية قام بالأعمال التالية :

١ ـ نقد مناهج الفلاسفة والمتكلمين، وحاربهم بنفس سلاحهم، وأثبت أن عقائد الإسلام لا تحتاج إليهم، وأن ما يسمونه الأدلة البرهانية والعقلية موجودة في الكتاب والسنَّة، ولئن كانت طبقة الفلاسفة ومن يتأثر بهم هي طبقة محدودة في المجتمع الإسلامي فإن المتكلمين ومن يتبعهم يمثلون تياراً كبيراً، ولفهم ابن تيمية للصلة الوثيقة بين الأفكار وأثرها قام بالهجوم أيضاً على أتباع هذا المذهب الذي حاول أن يكون وسطاً بين تيار الاعتزال وبين أهل السنَّة، وعرضوا الإسلام عرضاً جافاً، وكان رأيهم في الإيمان والقضاء والقدر وغيرها من أمور العقيدة؛ مما أثر

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في فهم المسلمين لدينهم ومن ثم في التطبيق العملي لهذا الدين؛ وكان هذا من أعظم أعمال ابن تيمية في الدفاع عن عقيدة أهل السنَّة وبيانها بجلاء ووضوح، وقد ألَّف في ذلك كتابه الفذ: (درء تعارض العقل والنقل).

٢ ـ نقد الفرق المنحرفة بأداة قوية وبيان ناصع كالجهمية والرافضة وغلاة الصوفية، وألَّف في ذلك: (منهاج السنة النبوية) و (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

كما رد على النصارىٰ في كتابه القيم: (الجواب الصحيح) الذي يعد من أعظم ما كتب في الرد على النصارىٰ.

وإذا كان العلماء السابقون لابن تيمية أو المعاصرون له، قد تفرغوا للعلم ونشره، وألَّفوا في الحديث أو الفقه أو التفسير أو غير ذلك من العلوم الإسلامية؛ فإننا هنا بإزاء عالم يرىٰ من واجبه إزالة ما تراكم من البدع والضلالات، ورد الناس إلىٰ الكتاب والسنَّة ولذلك ألَّف في الموضوعات التي يرىٰ أنها واجبة عليه لتحقيق هذا الهدف، ولذلك لم يكتب تفسيراً كاملاً مع أن مادة التفسير كانت من أحب العلوم إلىٰ نفسه ولكنه يصرح أنه لا يريد أن يكرر ما كتب سابقاً؛ ولذلك فسر سوراً معينة أو آيات معينة.

٣ ـ أحيا الاجتهاد، والرجوع إلىٰ النصوص الشرعية، وتحكيم الدليل بقوله وفعله، فلم يكتف بالهجوم على التقليد المتعصب فحسب،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بل زاول الاجتهاد ورجح في المسائل التي يبحثها ما يراه أسعد بالدليل غير مكترث لمخالفة رأي فلان أو فلان؛ ولذلك لا نجد في تلاميذه وأتباعه من رواد هذه المدرسة ما نجده عند غيرهم من التعصب الممقوت؛ وإن كانوا متبعين لمذهب معين كابن كثير والذهبي وغيرهما.

ومن هذا المنطلق ناقش القضايا المستجدة الحادثة التي توقف فيها العلماء وأعطى فيها الرأي المدعم بالدليل.

ومن ذاك فتاويه المشهورة في (التتار)، وقد كانت حالتهم وضعاً سياسياً طارئاً على المسلمين؛ لأن المتأخرين منهم المعاصرين لابن تيمية أسلموا، وكان في جيشهم القاضي والمفتي ولكنهم يقاتلون المسلمين، ويتحاكمون فيما بينهم إلى قانونهم الخاص الذي وضعه لهم (جنكيز خان)، وقد تحير العلماء فيهم ولكن ابن تيمية قال فيهم كلمة الحق

وإن المتتبع لأوضاع عصرنا اليوم يجد أن ابن تيمية بقي حياً في واقعنا السياسي، بل هو كما قال عنه مالك بن نبي: «قدَّم الترسانة الفكرية التي استمدت منها كل الحركات الإسلامية التي جاءت بعده».

٤ ـ زاول بنفسه القيادة الحقيقية للأمة، وكان جديراً بها لمواهبه النادرة العظيمة، واستجماعه لخصائص القائد، فكان يدافع عن مصالحها ضد المستغلين، ويحفظ حقوقها ضد المنتهبين، ويدفع عنها كيد عدوّها ما استطاع.

ولعل من أعظم المواقف موقفه مع التتار حيث كان يحرض الناس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على قتالهم ومنازلتهم، ويباشر القتال بنفسه، ويصدر الفتاوى التي تطمئن صدور الناس، بل ذهب بنفسه إلى (قازان) التتري وأنّبه وقال: «إن أجدادك الوثنيين لم يجرؤوا على ما جرؤت عليه»، وقازان لا يتكلم بل يطلب منه الدعاء، ويذهب الشيخ إلى مصر لمقابلة السلطان الناصر، ويكلمه كلاماً شديداً فيقول له: «إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه»[١].

وعلى الصعيد الداخلي كان ابن تيمية في جماعة من أصحابه الغيورين يمارسون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعزير المفسدين، ويحرض السلطان على غزو بلاد النصيرية وتأديبهم.

٥ ـ إن مواقف الشيخ هذه سواء في العقيدة أو الفقه أو غيرها لم يخترع لها أصولاً جديدة وإنما استطاع أن يُعمِل أصول السلف ويطبقها على القضايا المستجدة؛ فوسع دائرة المنهج ليستوعب تلك القضايا مع بقائه مربوطاً بأصول منهج السلف الأولى، وهذا هو التجديد عند ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

(١) البداية والنهاية، ١٤/ ١٤.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحركة التجديدية الحديثة
دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
(١١١٥ـ ١٢٠٦هـ)

إذا كنا عرضنا لحال المجتمع المسلم منذ عهد عمر بن عبد العزيز، وحتىٰ عهد شيخ الإسلام ابن تيمية.. فيا ترىٰ ماذا سنقول عن الحياة الإسلامية قبيل حركة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب؟

وإذا كان العالم الإسلامي منذ القرن التاسع قد تردىٰ أكثر من أي وقت مضىٰ في الضعف والجهل والتقليد والتمزق؛ فماذا عسىٰ يكون حاله في القرن الثاني عشر؟

لقد وصل إلىٰ وضع أدق ما يوصف به أنه ردةٌ إلىٰ الجاهلية الأولىٰ في معظم نواحي الحياة، وتقديس للضرائح والشيوخ والأولياء والأشجار، وصرف للعبادة لغير الله.

ولعل من أبلغ ما وصف به حال العالم الإسلامي ما خطته يراعة المؤرخ الأمريكي (لوثروب ستودارد) في كتابه: (حاضر العالم الإسلامي) حيث يقول: «في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة، فاربدّ جوُّه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب. . . واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال، فليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين. . يحكمون حكماً واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة، وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة في حكمها وينشئون حكومات مستقلة؛ ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن.

وجاء فوق جميع ذلك: (رجال الدين) المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقاً فوق إرهاق، فغلت الأيدي، وقعد عن طلب الرزق، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين، وبارت التجارة بواراً شديداً، وأهملت الزراعة أيّما إهمال.

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علَّمها صاحب الرسالة الناس سجناً من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التماس الشفاعة من دفناء القبور.

وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت سائر الحرمات على غير خشية ولا استحياء! ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس.. ضرباً من المستهزآت.

وعلى الجملة فقد بُدِّلَ المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطاً بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان»[1].

تجديد مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

في وسط هذا الجو المكفهر شاء الله أن تنطلق دعوة التوحيد من أرض الجزيرة العربية كما انطلقت شرارتها الأولى منها، وكانت أرض الجزيرة ـ وبلاد نجدٍ خاصة ـ أنسب البقاع لظهور الحركة التجديدية حيث بقيت هذه البقعة بعيدة عن سيطرة الدول الكبرى آنذاك، فلم يكن أحد يطمع فيها أو يلتفت إليها، وكان في أهلها من صفاء البادية وقوتها وحيويتها ما يحقق البقاء و النماء لهذه الدعوة المرتقبة.

(١) حاضر العالم الإسلامي، ترجمة: منير البعلبكي، تعليق: شكيب أرسلان، دار الفكر، ١/ ٢٥٩، ويلحظ في تعبيراته استعمال بعض الألفاظ التي لا نوافقه عليها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فانطلق صوت الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي ـ المولود سنة ١١١٥ هـ ـ منادياً بضرورة نبذ الشرك والعودة إلى نقاء التوحيد وصفائه الذي كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها.

وكان الشيخ قد حصل على ثروة من العلم عظيمة، وتميز بفهم ثاقب وغيرةٍ متوقدةٍ جياشة، وقد فرغ لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الشيخ الإمام ابن القيم ـ رحمهما الله ـ حتى استوعبها وأتقنها ووجد فيها الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنَّة.

ومن ثم بدأ دعوته في (حريملاء) ثم في (العُيينة) ثم في (الدِّرعية) مخاطباً فيها جمهور الناس كما يخاطب رؤوسهم داعياً إلى نبذ البدع، وتحكيم الشرع، وإقامة الكتاب والسنَّة، وحينما حقق الله له ما أراد، وأقام كياناً سياسياً على أساس من تعاليم الإسلام، بدأ في التوسع شيئاً فشيئاً، حتى ضم بلاد نجد كلها ثم الحجاز، إلى أن اصطدمت جيوش الدعوة الغضة بقوات محمد علي المجهزة بأحدث الوسائل العصرية، فأخرت سير الدعوة ولكنها لم تستطع أن تحول بين أنوارها وبين المسلمين.

ولقد كان لجهود الشيخ الشخصية ولمدرسته التي ربّاها على يديه أعظم الآثار في الأمم الإسلامية منذ ذلك الوقت وإلى اليوم، ويعزو كثير من المؤرخين معظم الحركات الإسلامية النقية في أفريقية والهند وغيرها

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إلى آثار تلك الدعوة المباركة.

ولقد استطاعت هذه الدعوة أن تحرر الأراضي التي وصلت إليها من ألوان الشرك والخرافة، وأن تعيد تعبيد الناس لربهم الحق، وتربيتهم على اتباع السنَّة الغراء حتى نشأت من أولئك البدو الجهلاء الجفاة الذين عُرفوا بالسلب والنهب وقطع الطريق... جماعة مستقيمة على شرع الله، تغضب لله وتغار على حرماته، وتتورع عن كل ما فيه أدنى شبهة، وتبذل النفس والنفيس في سبيل إعزاز هذا الدين ونصرة دعاته.

وكان هؤلاء هم قوام الجيش الذي فتح بلاد نجد والحجاز، وأغار على بعض مناطق الخليج والعراق وفي عزمه أن يخضع العالم لهذه الدعوة الإسلامية.

لقد استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن ينشئ دولة تحمي دعوته بالقوة، وكان واضحاً أنه قد خطط لذلك، وعرض على عددٍ من الأمراء حتى قبل الإمام محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ، وناصر الدعوة الجديدة.

وبذلك ضمن الشيخ استمرار دعوته وقوتها وبقاءها، واستفاد من الأمن الذي استتب، والوحدة التي قامت في نشر تعليمات الإسلام، وتربية الناس على المعتقد الصحيح، وتحريرهم من لوثات الشرك والوثنية، وهدايتهم إلى خُلُق الإسلام الصحيح في البر، والتعاون،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والإحسان، وكف الأذىٰ، وإكرام الضيف، والعزوف عن الدنيا وملذاتها، والحذر من المحرمات في الأموال والمآكل والمشارب حتىٰ أصبح رجالات الدعوة صوراً حية للإسلام يُذكِّرون برجال خير القرون الأولىٰ.

وانتشر العلم وكثر طلابه، وأصبحت البلاد مثابة العلم والعلماء، واشتغل أئمة الدعوة بشرح تعاليمها وأسسها ومبادئها، والرد علىٰ مخالفيها وتفنيد شبهاتهم، حتىٰ نشأ عن ذلك حركة علمية إسلامية صافية.

ولقد كان من الآثار المباركة لهذه الدعوة أن فضحت البدع والخرافات والمذاهب الضالة، وحذرت المسلمين من الاغترار بها؛ فهاجمت الرافضة والمتصوفة والقبوريين وغيرهم من أهل التأويل والتعطيل.

وعموماً فقد جددت دعوة الشيخ ومدرسته دين الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ، والذي جدده العاملون المخلصون عبر التاريخ، فكان لها من تجديد عمر بن عبد العزيز القوة الناتجة عن اعتماد الدولة للمنهج التجديدي، وكان لها من تجديد الإمام أحمد بن حنبل ثم الإمام ابن تيمية محاربة ما شاع في العصر من العقائد والبدع المخالفة، ونشر التوحيد الخالص، وتربية الناس علىٰ أخلاق الإيمان.

ولم يكن تأثير الشيخ محصوراً في الزمان ولا في المكان؛ أما في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

المكان فإن من المقطوع به أن ثمة خيوطاً واصلة بين دعوته وبين بعض المصلحين المجددين خاصة في الهند، وحسبك ما قام به الإمام الشيخ المجدد (نذير حسين الدهلوي)، ثم الشيخ (محمد بشير السهسواني) صاحب كتاب: (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) الذي ألّفه للرد على (زيني دحلان) أحد علماء مكة في هجومه على الدعوة الوهابية وإلصاق التهم بها[١].

كما كان لها تأثير في غرب أفريقية وفي سومطرة وفي بلاد المغرب العربي، ولتعرف طرفاً من ذلك انظر المراجع المشار إليها في الهامش[٢].

أما في الزمان فإن الدعوة لم تكن طمعاً شخصياً ينتهي بنهاية حياة حامله، بل كانت دعوة متجردة، ولذلك لم تحطمها الضربات الشرسة التي وجهت إليها، بل لا تزال تؤثر في وجدان الجماهير الإسلامية على الرغم من عداء كثير ممن يجهلونها أو يتجاهلون حقيقتها.

وما زال المسلمون الواعون في الأرض كلّها يُعنون بدراسة آثار الشيخ ومؤلفاته، وآثار أولاده وأحفاده وأتباعه، فيجدون فيها من تجريد

(١) انظر: عون المعبود، الموضع المشار إليه في أول البحث، وانظر كتاب: المصلح المظلوم والمفترى عليه، لمسعود الندوي، ص ٥٦-٨٦، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

(٢) كتب كثيرون عن أصداء دعوة الشيخ، وبالغ بعضهم واعتدل آخرون، وأهم المراجع هي: حاضر العالم الإسلامي، ١/ ٣، بحوث مؤتمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ج ٢، مجلة (الفيصل)، عدد ١٥. تراجم الشيخ عامة، ومنها كتاب مسعود الندوي المشار إليه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التوحيد وحماية حماه من الطرق والذرائع الموصلة إلى الشرك، وتوضيح شرك الأفعال وشرك الألفاظ، وشرك الإرادة، وشرك العبادة.. ما لا يجدون في غيرها.

ليس لأن الشيخ جاء بجديدٍ من عنده، ولكن لأن الدعوة التجديدية تعنى بكشف الجوانب التي تتسع فيها شُقة الانحراف وتعالجها تفاعلاً مع طبيعة الوضع الذي تعايشه.

أما في بلاد نجد فلا يزال كثيرون ـ حتى من عامة الناس ـ يمتازون باليقظة والحساسية في الألفاظ والعبارات، فلا يقولون شيئاً من الاستعمالات التي ورد النهي عنها والتي أبرزها الشيخ في كتاب: (التوحيد)، ولا يرضون أن يسمعوها من أحد.

وما زال فيهم بقية من سلوك حسن أخذ مأخذ العادات المألوفة المتواضع عليها، فهو يقاوم تيارات الانحلال التي تعصف عليهم من كل مكان بعض المقاومة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول	
حديث المجدد	١١
حديث المجدد	١٣
ـ تمهيد	١٣
ـ حديث المجدد وأقوال العلماء فيه	١٧
ـ ألفاظ أخرىٰ للحديث	٢٢
ـ بعض المعاني المستخرجة من الحديث	٢٣
١ ـ إن هذا المبعوث لم يعد همه نفسه فحسب	٢٤
٢ ـ ما المراد ببعث المجدد علىٰ رأس المائة؛ أهو ولادته أم تجديده؟	٢٥
٣ ـ المقصود بـ «رأس كل مائة سنة»	٢٧
٤ ـ المقصود بقوله ﷺ: «مَن يجدد» أفرد أم مجموعة؟	٣٠
ـ امتناع أن يكون المجدد من غير أهل السنة	٣٩
معنى التجديد	٤٥
ـ ليس من التجديد	٤٥

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الموضوع	الصفحة

ـ مجالات التجديد ٤٩
أولاً: التجديد في مجال العقيدة ٤٩
ثانياً: التجديد في مجال النظر والاستدلال ٥٣
ثالثاً: التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي ٥٣
رابعاً: فضح المناهج والاتجاهات والأوضاع والمبادئ والسبل المخالفة للإسلام ٥٥
شروط المجدد ٥٦
أ ـ التجديد مهمة الفرقة الناجية ٥٧
ب ـ لا بد من العلم الشرعي الصحيح ٦٠
ج ـ أن المجدد صاحب إرادة فاعلة وثابة ٦٠

الفصل الثاني

تاريخ الحركة التجديدية ٦٣

إلمامة تاريخية بالحركة التجديدية ٦٥
الحركة التجديدية الأولى ٧٤
ـ الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ٧٤
ـ الإمام الشافعي ٧٩
ـ الإمام أحمد بن حنبل ٩٠
ـ التجديد الجماعي ٩٨

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الموضوع	الصفحة

ـ صحوة الجهاد ٩٨
ـ ما قبل الإفاقة ٩٩
ـ التجديد الجهادي عند نور الدين محمود ١٠٠
ـ التجديد الجهادي عند صلاح الدين ١٠٢
ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠٨
الحركة التجديدية الحديثة ١١٤
ـ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١١٤
الفهرس ١٢٣

This file was downloaded from QuranicThought.com